روايات

ALHAN

ألحان

العطشان

١٠٤

WWW.REWITY.COM

مرمورية

ثمن النسخة							
لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

قال " ريمي " :

ما رأيك أن نرقص الليلة ؟

سالته في صوت لاهث وهي حبيسة ذراعيه :

- والأطفال ؟

- سنحضر معنا الأطفال ٠

تعمدت " دانيال " في هذه اللحظة أن تدوس قدمه ٠

عبس وجه " ريمي " وانحنى إمامها ٠

- أراك متخشبة يا عزيزتي ٠٠ لماذا لا تسترخين يا ملاكي . نحن في " نيو أورليانز" بلدة الحياة البهيجة ، وفيها الناس لا يكفون عن الرقص ببراعة ، قالت له مهددة :

- هل تود الرحتفاظ بسلامة قدميك ؟

لمعت في عينيا " ريمي " في مكر وهو يراقصها ويضع خده على خدها ورد عليها :

- نعم عندما أحتاجهما للمشي ، ولكن لو أصبتني إصابة بالغة فساضطر الى قضاء وقتي نائماً في السرير ٠

تقديم

يقرر الزوجان : "تشارلز وسوزانا بوفييه" القيام برحلة مدة شهر و هي رحلة عسل ثانية احتفالا بمرور اثني عشر عاما على الزواج. وهو أمر نادر لم يحدث من قبل في عائلة "بوفييه" أن يستمر الزواج بين أفرادها كل هذه المدة : حيث حلت بهذه الأسرة لعنة من عدة قرون عندما خطف شيخ قبيلة "بوفييه" في "اسكتلندا" زوجة شيخ قبيلة منافسة مما دعاه إلى عمل سحر أدى إلى عدم دوام الزواج في هذه العائلة أكثر من خمس سنوات .

عهدت الزوجة بأبنائها الخمسة إلى أختها غير الشقيقة التي اقتربت سنها من الأربعين وتعيش حياة الوحدة متجولة في كل أنحاء العالم كفنانة تصوير فوتوغرافي .

ومجموعة الأبناء عبارة عن خمسة وبينهم طفلة رضيع، وهم مجموعة من الشياطين الذين لم تتحملهم أية مربية أو جليسة أطفال في كل ولاية "لويزيانا" بسبب ما يرتكبونه من فظائع .

ولما كانت الخالة "دانيال" لا خبرة لها بتربية الأطفال فما بالها مع هذه العصبة من السفاحين الصغار .

بعد يومين من عدم النوم وصلت إلى حد الانفجار . حاولت الاتصال بجميع وكالات التخديم بالولاية : لتحصل على مربية لكن دون جدوى ، إلى أن اتصلت بإحدى الوكالات باسمها وهو "دانيال هاميلتون" - التي وافقت على إرسال مربية دون أن تعرف أن الأولاد هم أبناء "بوفييه" .

تفاجأ الخالة بشاب يحضر للعمل كمربية وهو أمر أثار اعتراضها الشديد ، ولكن أمام الموقف الفظيع الذي تواجهه قبلت أن تستأجره .

بعد مغامرات ومواقف يائسة ومسلية وغريبة تتكشف حقائق مذهلة... ستعرفها أيها القارئ العزيز .

إذا تابعت القراءة حتى النهاية .

شخصيات الرواية

- "دانيال هاميلتون" : امراة غير متزوجة اوشكت ان تبلغ سن الاربعين وتعمل مصورة فوتوغرافية .

- "ريمي دوسيه" : شاب كان يعمل چيولوچيا ونظرا لانتهاء عمله وعدم العثور على عمل آخر اضطر للعمل كمربية للاطفال .

- "تشارلز بوفييه" : احد اثرياء ولاية "لويزيانا" من اصل اسكتلندي.

- "سوزانا بوفييه" : زوجة "تشارلز" واخت غير شقيقة لـ"دانيال هاميلتون" .

- "بتلر ماك دويل" : كبير الخدم في قصر "بوفييه" .

- چيرمي وچولي وتانيا وأميرواز وكاميل : اولاد "بوفييه" .

الفصل الأول

- بصق "چيرمي" في طبق الحلوى يا خالة "دانيال" .

كتمت "دانيال هاميلتون" امتعاضة اشمئزاز خوفا من أن يسجل "چيرمي" البالغ من العمر تسع سنوات. ذلك في عقله الشيطاني. كانت مرهقة للغاية حتى إنها لا تستطيع التفكير ، فاسندت ظهرها على الجدار في صالة الطعام . قالت لـ"تانيا" :

- ما عليك إلا أن تبصقي في حلواه .

ماذا تعرف عن الأطفال ؟ لا شيء . إنها تعرف عن قبائل "كينيا" أو رهبان التبت أكثر مما تعرفه عن الأطفال . كانت لا تزال فتاة صغيرة لا تعرف شيئا عن الأطفال : لأنها تربت وسط أفراد بالغين .

اعلنت "تانيا بوفييه" باعلى صوتها والتي تبلغ من العمر أحد عشر عاما :

- لقد فعلت ومع ذلك اكلها .

www.rewity.com

زفرت "دانيال" في تبرم في حين دق جرس الباب . بذلت جهدا خارقا حتى تبتعد عن ملجئها وهي تتجنب ان تطا بقدميها جيشا من الجند يواجه دبابة من البلاستيك . صاحت "چولي بوفييه" :

- انتبهي . انت وسط منطقة المعارك .

كانت الشيطانة الصغيرة ذات الاعوام السبعة جاثمة خلف مقعد ذي مساند مستعدة لإطلاق سهم في الهواء . تصورت "دانيال" انها عادت إلى حرب الانفصال . ولكن هذه المرة كان الجنوب هو المنتصر ؛ لان هذه الحرب كانت بين الفتية والبالغين للحصول على السلطة وتمثل صورة لـ"بوسطون" وقد احتلها خماسي من المحاربين القدماء .

لقد هزمت العدو بسبب كثرة العدد وكبر السن .

كان احتياطي نشاطهم قد أذهلها بينما نشاطها نفد . كانت تدور في فراغ . والذي زاد الطين بلة ان "بتلر" الشخص الوحيد الذي كان بإمكانه ان يساعدها قد اختفى في اول يوم من مهمتها.

وكان سعيد الحظ ذلك الذي لم يعد يثيره الوضع وظل في ملجئه باستمرار .

كان "بتلر ماك دويل" - الذي لا يقهر والذي ظل رئيس خدم منزل والدها منذ اربعين سنة وتحمل الحياة مدة خمس سنوات مع زوجات "لورانس هاميلتون" وفي تعليم ستة اولاد - قد ترك الخدمة بضربة قاضية عندما اصطدم بالزلاجات وسقط عاجزا على الأرض .

كانت تحقد عليه ؛ لانه هو الذي اقنعها بان تحضر إلى "نيو أورليانز" عندما قال لها :

- ساحضر معك ياجميلتي . وسامد لك يد المساعدة . ويمكنك الاعتماد علي .

في الحقيقة كانت تلك هي النقاط التي أخذتها في الاعتبار عندما سقط فوق الأرضية الباركيه اللامعة وسط ضجة بسبب العظام

المكسورة .

رن جرس الباب مرة ثانية واخذت "دانيال" تتضرع ..

- يا إلهي ! أرجو أن تكون هذه هي المربية ! هل يتطلب الأمر ازمة جنونية حتى تقبل حراسة ابناء "سوزانا" .

كانت "سوزانا" قد استثقلت الفوضى والتعب لتقفز على ذلك كله منذ لحظة هبوطها من الطائرة التي نقلتها من مكان إقامتها في "التبت" إلى "نيواورليانز" .

- ساقدر لك تماما يا "دانيال" صنيعك في أن ترعي الأولاد اثناء رحيلي أنا و"تشارلز" في رحلة الإجازات . إنهم في حاجة لان يخضعوا لسلطة أحد افراد الأسرة .

همهمت "دانيال" في نفسها وهي تتجه نحو باب الدخول :

- صدقت يا "سوزانا" . إنهم في حاجة إلى معلم فرقة عسكرية.

كانت كتلة من الفراء الأسود على شكل كلب ممزقة - في بداية النهار - ومنثورة في الدهليز . كان الراس بين القدمين الأماميتين. ولابد ان تلك الكتلة الحيوانية كانت تتساءل : هل كان من الحكمة ان تنتقل إلى بيت "بوفييه" ؟! . ورغم إنكار الأطفال فإن "دانيال" شكت أن يكون الحيوان المسكين جزءا من العائلة . والدليل أن كل فرد يناديه باسم وان "سوزانا" لم تحدثها عن وجود كلب أصلا .

لم تكن هذه هي المعلومة الوحيدة التي لم تذكرها "سوزانا" لاختها وسط رغبتها في الإسراع للرحيل إلى جزر الكاريبي مع زوجها .

اما المعلومة الثانية فقد رتبت الأمر بحيث لا يذكر اسم عائلة "بوفييه" عند طلب مربية ؛ لأن معظم مربيات "نيو اورليانز" كن يرتعدن خوفا عند ذكر اسم عائلة "بوفييه" .

وبعد قضاء يومين مع خمسة ابناء اقتنعت "دانيال" بان "ماري بوبنز" بطلة "والت ديزني" سترفض هي الأخرى تحمل المسؤولية .

تعثرت في الكلب ، واضطرت للتوقف لتلتقط انفاسها لقد انتظرت لإجراء عشرين مكالمة حتى استطاعت أن تجد وكالة تخديم تقبل إرسال مربية إليها ، ويجب بصفة خاصة الا تفزع هذه المربية ؛ لأنها دون معونتها ستضطر لشراء سلاح ناري للدفاع عن نفسها .

لم تخدعها مراة الدهليز وهي تقدم لها صورة جميلة عن وجهها فتاوهت "دانيال" أمام رؤية صورتها التي صدمتها بعد أن قضت شهرين في غابات الأمازون ، بدا وكانها قضت عمرها البالغ تسعة وثلاثين عاما مرتين ، وشعرها الأشقر كان ينزل على كتفيها متناثرا ، بينما دوائر بنفسجية ظهرت حول عينيها نتيجة سهر ليلتين متواصلتين لرعاية الطفلة .

كانت تقاطيعها حادة ، وكانها من صنع مثال . كانت قد ورثت تقاطيعها الكلاسيكية عن امها "انجريد" عارضة الأزياء المشهورة على مستوى العالم كله . ولكن فمها وظلال تجاعيد القلق التي ظهرت على وجهها كان من الممكن أن تثير خوف "انجريد" لو رأتها.

كانت آثار العجينة التي تبادلها "جيرمي" و"جولي" ظاهرة على الـ"تي شيرت" الذي كانت ترتديه ، وبقعتان كبيرتان من الطعام تزينان الشورت الكاكي الخاص بالرحلات الذي كانت ترتديه ايضا ، أما صندلها فقد فقد لونه البرتقالي البراق وهي تحاول أن تجعل الطفل يبتلع العصيدة . همست في نفسها :

- إن هذه المراة ستهرب عدوا عندما تراني .

اكتشفت كتلة حمراء من الصلصة وسط شعرها . أطلقت زفرة وفتحت الباب الثقيل المصنوع من خشب البلوط . عندما رأت الشخص الواقف على عتبة الباب توقفت عن التنفس.

لم يكن يشبه "ماري بوبنز" على الإطلاق .

الفصل الثاني

يا له من وجه . رغم أن "دانيال" كفت عن رسم لوحات الوجوه والتقاط الصور الفوتوغرافية لها كانها التقطت الكاميرا لتاخذ صورة في خيالها .

عينان سوداوان لامعتان متسعتان وسط وجه قوي جدا ، وانف معقوف وفك مربع .. كان هذا الوجه مركزا عليها . رفعت ابتسامة الغريب شاربه لأعلى وبدت بعض التجعيدات الخفيفة نتيجة الدهشة حول فمه .

كانت "دانيال" لا تقاوم ابدا اي فك جميل . أحست بدبيب النمل يسري في جسدها . علاوة على ذلك فقد ظهرت غمازة على الخد الأيسر لهذا النمط الرجالي الفاخر ، بينما لمعت أسنانه السليمة البيضاء وسط لون بشرته البرونزي . لم يكن ينقصه إلا امراة تخدمه كعبدة لاكتمال الصورة .

www.rewity.com

ورغم أن جسده لا يناسب وجهه إلا أن بنيته كانت تصلح لملاكم من الوزن الثقيل . كانت كتفاه مربعتين ، ووسطه قوياً والزر الأعلى من قميصه مفتوحاً ، وكأنه لم يتمكن من غلق الياقة حول رقبته الضخمة.

قالت "دانيال" :

- هيا بنا ننقذ نفسينا سويا .

قال الغريب في دهشة وقد اتسعت عيناه :

- أرجو المعذرة ؟

قالت بصوت متعب بينما سمعت خلفها صوت ضجة عالية أعادتها إلى الواقع :

- لا باس .

هناك خمسة أسباب تمنعها من تحقيق خيالها . خمسة صغار بينهم فتاة . كان أصغر منها على الأقل بعشر سنوات وكان لديها شعور أنها أكبر منه بمائة سنة وفي هذه الظروف : كيف يمكنها أن تهرب معه ؟ قد يتطلب الأمر منه أن يدفعها على كرسي متحرك . قالت :

- لا أستطيع أن أرحل ؛ لأنني أنتظر المربية .

- هل أنت السيدة "هاميلتون" ؟

سارعت "دانيال" بتصحيح معلوماته .

- الآنسة "هاميلتون" .. "دانيال هاميلتون" .

قال بلغة إنجليزية كسول وبلهجة الرجال الجامعيين في ولاية "لويزيانا" :

- لقد سعدت بلقائك يا آنسة "دانيال هاميلتون" .

كان ينطق اسمها وكأنه يعرفها معرفة حميمة كان صوته قويا وناعما في آن واحد يشبه الحرير الخام ، وعيناه تلمعان مثل العقيق المصقول .

تساءلت "دانيال" : عما إذا كان قد كوّن من قبل نظرية عن مدى تأثير

الصوت على النساء كوسيلة لاجتذابهن ؟

كانت كل كلمة ومقطع من كلامه تداعب حواسها وتدل على خبرته العميقة . لقد مرت قرون منذ أثر رجل عليها بصوته . مدت يدها خلال مربعات الحديد المركب على الباب للأمان دون أن تغادر عيناها وجهه .

أعلن وهو يلف أصابعه حول أصابع "دانيال" :

- أنا "ريمي دوسيه" المربية الجديدة التي طلبتها .

نظرت إليه "دانيال" مذهولة . قالت وهي تضحك في هيستيريا:

- لابد أنني أرى سرابا .. هل قلت : إنك المربية ؟

- بالضبط .

- هذا صحيح ؟

قال بصوت منخفض وخفي :

- طبعا .

هزت "دانيال" رأسها وكأنها تخرج من حالة لا وعي .

ثم استندت بكل ثقلها على الباب بينما تدافعت سلسلة من الأفكار تخترق روحها وبدأت ركبتاها ترتجفان وتخونانها . لو قبل الوظيفة فإنه سيظل في البيت ليل نهار على حساب "سوزانا" وستراه في كل لحظة . ولكن ذلك لن يكفي . أخذت تضرب جبهتها بكفها .

تساءلت : هل هي "دانيال انجمار هاميلتون" التي خرجت مع أمراء والتي عاشت في الغابات وصحراء "نيويورك" ؟ .. هي المشهورة في كل أنحاء العالم بسلوكها الفاضل والمحسوب في كل الظروف ..؟ سألها "ريمي" وهو يرفع حاجبيه :

- ألم تطلبي مربية يا عزيزتي ؟

- بلى .. لقد اتصلت كي يرسلوا لي واحدة ولكنك لا تتفق مع المواصفات التي طلبتها يا سيد ..

أكمل الاسم ووميض الغضب يظهر في عينيه :

- "دوسيه" ..

إن هذه الوظيفة لا تتفق ايضا مع ما كان يتمناه . إنه خبير چيولوچي ولكن ولاية "لويزيانا" تقدم فرصا نادرة للعمل بالنسبة للچيولوچيين منذ أزمة الصناعات البترولية من سنوات . على اثر إقامة المشروع الذي عين فيه منذ سنة ثم وجد نفسه أمام خيارين : إما أن يزاول خبراته في "نيوهيربريد" أو يغير مهنته . وبعد أن حاول تجربة الحل الاول وفشل ها هو يجرب الحل الثاني .

قال بلهجة هجومية :

- ماذا هناك يا عزيزتي ؟ أتظنين أن الرجل لا يستطيع أن يؤدي دور المربية بمهارة ؟

- أوه .. لا .. إنني ...

وضع يديه في وسطه في عزم وقال بإصرار :

- أنت تظنين أن الرجل لا يصل لمهنة المربية بسبب أنه رجل ؟

- إيه .. في الحقيقة إنني لم أفكر كثيرا في هذا الموضوع .

قال وهو يمرر أصبعه من خلال فتحات الباب :

- أليس هذا رأيك ؟ لأنني لا اتمتع بالتقاطيع الأنثوية ؟

نظرت "دانيال" إلى جسمه القوي الفارع وعضلاته التي برزت تحت قميصه :

- صدقني يا سيد "دوسيه" إنني سعيدة لأنك لا تتمتع بالتقاطيع الأنثوية .

- لا يوجد قانون يمنع الرجل من أن يعمل مربية . الرجل يستطيع أن يؤدي هذا العمل تماما مثل المراة .

قالت بعد أن قررت الا تدخل في جدل حول الموضوع :

- لا أشك في هذا .

في الحقيقة كانت فكرة أن يقدم هذا النمط الذي يتمتع برجولة

طاغية لكسب لقمة عيشه عن طريق رعاية الأطفال .. إنما هي فكرة وجدت ترحيبا في قلبها .

قال "ريمي" وهو يبتسم ابتسامة لا تقاوم وقد اختفى غضبه بسرعة كسحب الصيف :

- إذن هل ستدعينني أدخل ... ؟ نعم أم لا ؟ إن الحرارة زادت هنا .

قالت "دانيال" في نفسها : إنها تحس بالحرارة اكثر منه ولكنها احتفظت بهذه الفكرة لنفسها لأنه كان من الواضح أن "ريمي دوسيه" لم يكن في حاجة إلى تشجيع حتى يغازلها .

بعد أن فتحت باب الأمان ابتعدت كي تسمح له بالدخول وهي تتساءل : إلى أي حجرة يمكنها أن تصحبه لتناقشه ؟ . ولكن المتمردين من آل "بوفييه" لم يتركوا ركنا في البيت الفسيح الذي يحتاج إلى طاقة نووية لهدمه إلا وتواجدوا به . ظلت إذن في الحجرة السوداء ، ولكن نظرا لجاذبية هذا الرجل المغناطيسية وجدت أن الفكرة ليست سليمة .

تجول "ريمي" بنظراته في الردهة الفاخرة حيث كانت مكسوة بأوراق الحائط بلون العاج الحريري ونجفة من الكريستال وسلما حلزونيا يصلح لقصر . ورغم أن السيدة الواقفة أمامه توشك أن تموت من التعب إلا أنها كانت واقفة بشعرها الأشقر الكثيف العالي فوق رأسها وقد ارتدت في قدميها صندلا ذا لون برتقالي لامع . قالت له :

- هيا بنا إلى الصالون في الدور الأرضي .. حيث لا يوجد طعام على الجدران .

صحب "ريمي" ربة العمل المتوقعة وهو يلقي عليها نظرة إعجاب وتقدير . كانت أقل منه حجما حيث كان طولها مائة وثمانين سنتيمترا وبنيتها ملائكية حلوة كجسم عارضة الأزياء .

كانت ممشوقة القوام وإن كانت نحيفة . لقد كانت جميلة حقا خاصة تقاسيم جسدها وساقيها اللتين يمكن أن تطاردا أحلام الرجال.

دخلا سويا في الدهليز المقبب والذي يقود إلى الصالون عندما انطلق صوت موسيقى الروك راعدا .

خرج "چيرمي" من داخل دولاب وظهر بالضبط امام "دانيال" ، وقد غطى وجهه بجورب حريمي نايلون . صرخت "دانيال" والقت بنفسها على الجدار وهي تصطدم في طريقها بقازة من الصيني مليئة بالورود الطازجة فتقلبها من فوق مائدة ثلاثية الأرجل طراز "لويس الخامس عشر" . ظهرت "چولي" وهي تجري في الصالون ثم القت بنفسها على ساقي "ريمي" المذهول حيث اتخذته ساترا تطلق منه شلالا من عصير فواكه أرجواني اللون على شقيقها من مسدس ماء .

اختفى المتآمران وراء باب المدخل قبل أن يتاح الوقت لـ"دانيال" لنطق اسميهما . جُنت الشابة وقالت في نفسها : إن "ريمي دوسيه" دون شك سوف يرد لها مريلة العمل قبل أن يلبسها . كان يبدو عليه الذهول وإن ظل مسيطرا على نفسه .

أصابها الخوف . إما أن الرجل شجاع جدا ، او لا عقل لديه ليدخل لدى آل "بوفييه" ويستسلم لقدره ليواجه هذا القطيع المشاكس صرخت:

- "تانيا" خفضي الاستريو وإلا فلن تعيشي حتى تفهمي معنى الاغنية "اريدك يا حبيبي" .

رفعت "تانيا" عينيها إلى السماء قبل أن تنفذ الأمر ثم حدجت خالتها بنظرة مفهومة والقت بشعرها الأحمر خلف ظهرها وردت :

- إنني افهم المعنى من زمان .

ابتسمت ابتسامة مواربة عن "ريمي" والقت إحدى حكم اختها :

- هؤلاء الأطفال نضجوا حقا قبل الأوان !

سألت "تانيا" وهي تتامل "ريمي" في وقاحة :

- ولكن من هذا الميكانيكي ؟

رد الرجل الذي وجد صعوبة في أن يظل جادا :

- لقد حدثت إنني مربيتكم الجديدة .

صاحت الفتاة الصغيرة :

- إنه حقا زمن العجائب وسنرى أكثر من ذلك !

غطى على هذه الكلمات عواء طفل آت من الدور العلوي . أحست "دانيال" أن الدموع تنزل من عينيها لقد كانت منهكة ومقهورة علاوة على أن الأطفال يرعبونها . ولكن لماذا إذن قبلت أن تؤدي خدمة لـ"سوزانا" ؟

عضت على شفتها ومرت من أمام "ريمي" خافضة رأسها وهي تخفي وجهها خلف ستارة من شعرها الكثيف ثم وضعت يدها على الدرابزين الذي كان مليئا باثار الأيدي الملوثة وصعدت الدرجات كل اثنتين مرة واحدة يتبعها "ريمي" . سالها :

- كم إجمالي عددهم ؟

- خمسة .

تجهم "ريمي" . يبدو انه غير مسلح لمواجهة خمسة اطفال ولكن في هذه الضاحية الأرستقراطية لا يهم إن كانت الأم طيبة أم لا . يكفيها أن تستطيع الاتصال هاتفيا كي تعين شخصا يقوم بتربية أولادها بدلا عنها .

حاول أن يخفي عواطفه لأنه كان يظن دائما انه لا يجب إنجاب أطفال إلا عندما يعرف الوالدان كيف يحبانهم ويعتنيان بهم . سالها :

- إن الأمر ليس سهلا كي تربي خمسة أبناء بمفردك ؟

- كيف بمفردي ؟

- هل انت مطلقة ؟

- انا ؟ إنني لم أتزوج أبدا .

اطلق "ريمي" صفيرا من بين شفتيه .

- حسنا يا عزيزتي ... يا لها من مغامرة !

دارت "دانيال" حول نفسها فوق عتبة حجرة الرضاعة . بدت عيناها كقمرين فضيين . صاحت :

- لا تقل : إنهم أولادي .. لا شك انك تمزح ؟

رغم إحراجه فإن "ريمي" احس بالارتياح .

- هؤلاء ليسوا أطفالك ؟

- يا إلهي ! هؤلاء الصغار الأعزاء هم أبناء أختي "سوزانا بوفييه" . إنها غائبة في عطلة مع زوجها "تشارلز" وإن كان لدي إحساس انها هجرت البيت ... هل تعرف اغنياء يذهبون إلى "الكاريبي" في عز الصيف ؟

اكتفى "ريمي" بهز كتفيه . إنه لا يعرف كثيرا عن الاغنياء .

توجهت "دانيال" وهي ممتعضة نحو المهد الذي تلمع فيه الصغيرة "كاميل" وهي تخنق نفسها بذراعها . قالت له :

- لو حدث وعادت فسوف أقسم بالله بان اقيم عليها دعوى !

استمرت "كاميل" في الصراخ والنشيج . تساءلت : ماذا يمكن ان يكون قد أصابها ؟

انحدرت دمعتان على خدي المسكينة "دانيال" التي كانت بلا حول ولا قوة . وقالت في نفسها : إنها لا تصلح لان تكون امراة .

رفع "ريمي" الطفلة واخذ يهمس في اذنها كلاما غير مفهوم . كانت تلك الكتلة السمينة التي تزن ثمانية كيلوجرامات - ذات العينين الزرقاوين الواسعتين المستديرتين وزغب أحمر يعلو راسها- هي في الحقيقة شيء محبوب . أخذ فيلا من القماش من ركن المهد واعطاه لـ"كاميل" فأخذت في الحال تمضغ خرطومه وسرعان ما تحولت صرخات الطفلة إلى مناغاة تقطعها شهقات . دهشت "دانيال" وكانها شاهدت لعبة من ساحر !

- كيف استطعت ان تفعل ذلك ؟

لم يعلق "ريمي" كيف لا تستطيع امراة ان تعتني بطفلة رضيع على وشك ان تظهر أسنانه ؟ نسي أنها ستكون ربة العمل فاستسلم لاندهاشه لقد تعود على إعطاء الأوامر لا تلقيها .

قال :

- كيف لا تستطيعين أن تعطيها شيئا تمضغه كي تتخلص من آلام بزوغ أسنانها ؟ إنك حقا جليسة أطفال سائجة !

ردت عليه "دانيال" بينما الدموع تصعد ماقيها في شعور من الضجر والتوتر :

- ولكني لست جليسة أطفال ! كل ما هناك انه فرض علي أن أمارس سلطتي عليهم كاحد افراد الأسرة . ولست خبيرة ان أعرف أن الأطفال ياتون إلى الدنيا ومعهم أسنانهم ولهذا استاجرتك .

ادارت له ظهرها واخذت تبكي تماما كما كان يتخيل النساء الراقيات وهن يبكين بصوت مكبوت وتهتز اكتافهن اهتزازات خفيفة .

كان "ريمي" مشوشا . إن إسكات رضيعة ليس بمشكلة ولكن إسكات امراة ؟! إنه لا يستطيع حتى أن يحضر لها فيلا من القماش ليضعه في فمها لتسكت .

اراح "كاميل" في مهدها واقترب من "دانيال" غير واثق بما سيفعله . إن المربيات لسن معتادات على أخذ سيداتهن بين أذرعهن للتسرية عنهن ومع ذلك كان الإغراء شديدا . قال متضرعا بصوت منخفض وهو يديرها من كتفيها برقة :

- لا تبكي يا عزيزتي .. لم يكن من الواجب ان أحدثك بهذه اللهجة .

وضعت راسها على كتفه وتصلبت وهي تصارع دموعها بينما هو يدلك شعرها المتمرد . قالت متلعثمة :

- انا .. انا فعلت ما في وسعي .. إنها .. إنها ليست غلطتي .. إذا كنت لا اعرف شيئا ..

أخذ "ريمي" يواسيها :

- أعرف .. طبعا .

- أنا .. أنا متعبة ومتوترة .

- صه !

- و .. وتوجد بقايا طعام في شعري .

كانت المعلومة الأخيرة بمثابة محبس انفتح . كانت "دانيال" التي لم تبك أمام أي شخص أصلا . قد وجدت نفسها تنطلق في البكاء . إنها لم تنم دقيقة من يومين والراحة التي تقدمها كتف قوية وإن كانت لدقائق إلا انها لا باس بها ولن ترفضها .

فتحت عينا "ريمي" عندما رأها تتخلى عن كبريائها واعتزازها بنفسها فهمس :

- هيا .. هيا أنا هنا وابكي كما يحلو لك .

يا لهذا الشيء الصغير المسكين ! لماذا قبلت هذه المهمة وهي تقريبا لا تعرف أي شيء - على ما يبدو - عن الأطفال ورعايتهم إن الشياطين الصغار يحسون بذلك ويستغلونه بطريقة مخجلة . يا للمسكينة "دانيال" !

عندما نطق اسمها بصوت خفيض وحلو وجذاب أعجبها ذلك وأعجبه كذلك . إنه من الأسماء التي يجب أن ينطقها وهو يعبر عن الحب . ويجب أيضا أن تستند عليه . قالت وهي تتلعثم :

- إنهم لا يطيعونني أبدا .

قال وهو يربت شعرها :

- أعرف .

- ليس هذا لأنني لا أحب الأطفال .. لقد كنت طفلة أنا أيضا .

- نعم .. نعم .

ولكنها لم تعد طفلة . إنها امرأة والأكثر من ذلك انها جذابة وفاتنة

بدرجة لعينة .

- كل شيء سيسير سيرا حسنا يا عزيزتي ، وسترين ذلك مادمت الآن هنا .

تنبهت كل حواس "ريمي" الدفاعية عندما اكتشف أنها تحتاج إليه . كرر كلامه وهو يرفع ذقنها بأصبعه :

- كل شيء سيكون على ما يرام .

تطلعت إليه "دانيال" وكأنه آخر رجل حي على وجه الأرض ، وأن القدر كلفه بأن يحافظ على الجنس البشري . رغم البقع والأكل على شعرها وملابسها فإنها فاتنة .. وجميلة حقا .

مسح "ريمي" دمعة من على خد "دانيال" بأصبعه ثم مسح أخرى من فوق خدها الآخر . أحست "دانيال" أنها تتفتت ونسيت الشياطين الصغار وعدم كفاءتها التامة وسبحت وسط سحابة ذهبية ورأت النجوم تلمع وأحست بكرة حارة تتكون في معدتها . ولكنه رفع رأسه وابتعد عنها قاطعا تلك اللحظات الرائعة والحالمة .

صرخت "دانيال" فرفعت يدها إلى فمها وقالت :

- أنت صغير جدا على تقبل العواطف من امرأة .

- وأنا أيضا تركت لبس الشورت من وقت طويل .

- آه .. نعم .. أراهن أنك لا تعرف فرقة البلاترز الموسيقية ؟

اعترف :

- لا .. أتعرفين إخوان "بلفا" ؟

- لا .

- حسنا .. لقد تساوينا .

سألته في تحد :

- هل أنت متأكد ؟ كم سنك ؟

- إحدى وثلاثون سنة ، وأنت ؟

- لدي .. هذا ليس من شانك !

- خمس وثلاثون .. ست وثلاثون ؟

لم تستطع أن تعرف إن كان عليها أن تحس بالسرور أم بالضيق ورأت أن من الأفضل تغيير الموضوع .

- أسفة لأنني اضعت وقتك يا سيد "دوسيه" ولكن بامانة لا أظن أن المربيات يعاملن النساء بهذه الطريقة .

- إذا كنت تحبين أن تريني كيف يفعلن ذلك فإنني مستعد .. هيا .

كان يبتسم ابتسامة ساحرة ومهلكة . انسحبت "دانيال" إلى ما وراء كرسي هزاز بينما خطا هو للأمام .

- اقدر حماسك يا سيد "دوسيه" ولكن ...

صحح لها :

- "ريمي" من فضلك .

اقترب "ريمي" - ونظرة شيطانية في عينيه السوداوين - منها واعتقدت هي أن قلبها سيتوقف أو يخرج من صدرها . اقترب منها حتى إنها استطاعت أن ترى آثار نمو لحيته . كيف يمكنها أن تستاجر مربية تستطيع أن تعاملها كامراة وكانه رئيس عصابة. ثم إن عليه أن يحلق ذقنه مرتين في اليوم ؟ ولكنه موجود أمامها بالفعل : ضخم برونزي البشرة وشعره ذو خصلات مجنونة وسوداء تنسل على جبهته . وعينه أكثر عين كسول رأتها في حياتها .

ذكرها هذا الموقف الغريب بالعديد من نساء عائلة "هاميلتون" . لقد كن يعشن حياة عشق فاسدة وانها قررت منذ زمن أن تبتعد عن الرجال منذ فشل آخر علاقة لها . ثم إن هذا الرجل جاء من أجل وظيفة خادم وليس من عادتها أن تغازل موظفي البيت .

ومع ذلك في الوقت الحالي هو الذي يغازلها . سرت الرعدة في أعطافها . قالت متلعثمة :

- قل لي ! هل هذه عادتك كي تحصل على الوظيفة ؟

ارتفع طرف شاربه لأعلى وظهرت الغمازة في خده الأيسر ورد عليها بصوت ممطوط :

- يجب أن تري : كيف أعمل لأحصل على علاوة ؟!

أحست "دانيال" بان معدتها تسقط في قدميها . تعجب "ريمي" لماذا لم تستدعي رجال الشرطة خاصة وانه يتصرف تصرفات رجال الحانات . ولكن هذه التصرفات كانت رغما عنه . قرر أن السبب هو الكيمياء وتفاعلاتها بين الرجل والمراة . وهو يعرف ذلك باعتباره من رجال العلم ويعرف القوى التي لا تقاوم في الطبيعة وهي الغرائز ويعرف علم الأحياء من إنسان وحيوان وطيور ويعرف غرائز تلك السيدات الحسناوات الراقيات ذوات العيون الواسعة اللامعة .

سالها :

- كم عدد من تقدمن إلى الوظيفة ؟

- أوه .. بعضهن .

- واحدة .. اثنتان ؟

- أوه ممكن ..

- اترين يا عزيزتي أن عليك الاحتفاظ بي لانه لا يوجد تحت يدك سواي .

اثناء عودتهما إلى المهد لإلقاء نظرة على الرضيع تذكرت "دانيال" فعلا انه لم يبق أمامها وكالة تخديم لم تتصل بها . لم يبق أمامها سوى اللجوء إلى خدمات ساحر هندي أو مدرب تماسيح .

اختفت كل آثار التوتر العاطفي باعجوبة وتساءلت :

هل كانت تحلم ؟! إنها وقد اقتربت سنها من الأربعين فمن الطبيعي أن تحلم وتتخيل الرجال الأقوياء .

سالها "ريمي" وهو يحمل الصغيرة "كاميل" تحت ذراعه وكانها كرة

"البيسبول" :

- منذ متى رحل والداهم ؟

ردت "دانيال" وهي ساهمة :

- منذ ثلاثة أسابيع .. هل أنت واثق بأن هذه هي الطريقة الصحيحة لحمل الطفل الرضيع ؟

- واثق ومتأكد . هذا أول درس علموه لنا في مدرسة إعداد المربيات. كان يكذب دون أن يبدو عليه ذلك .

- آه ..؟ حسنا ؟

أخذت "كاميل" تقهقه من السعادة وكأنها تظهر رضاها . مدت ذراعيها الصغيرتين على طريقة السوبرمان الترانزستور وأرسلت قطرات من ريقها في كل مكان :

- إنهما يريدان القيام برحلة شهر عسل ثانية للاحتفال بحدث يعتبر الأول من نوعه خلال سبعة أجيال من عائلة "هاميلتون" : لقد استمر زواج "سوزانا" أكثر من خمس سنوات . هل فهمت ؟ نحن ملعونات .

- ملعونات ؟ كما يحدث في السحر الأسود ؟

- لا .. لا .. وإنما كما يحدث في لعنة الاسكتلنديين وهذا يرجع إلى عام ١٥١٦ ، التاريخ الذي لعن فيه شيخ قبيلة منافسة "رامزي هاميلتون" الذي سرق منه زوجته . ومن تاريخها كان آل "هاميلتون" يفسدون زيجاتهم ، ولذلك فإن زواجا يدوم اثني عشر عاما بين "سوزانا" و"تشارلز" يعتبر مفخرة ومعجزة . أليس كذلك ؟ ومادام الأمر كذلك فإنني اعتبر شهر عسل يستمر ثلاثة أسابيع مدة طويلة ، ويمكنني أخيرا أن أقول :

- كم من طرق مختلفة يمكن إيجادها ...

أخذت تتلعثم فتدخل "ريمي" بصوته العذب :

- وبعد يا "دانيال" ! لا تقولي لي : إن شهر عسل مدة ثلاثة أسابيع لا يعجبك ؟

قالت متهكمة :

- لا .. ولكن أين تريد أن تقضيه ؟

خفض "ريمي" من صوته درجة ليصبح كالحرير :

- سأصحبك إلى السماء يا ملاكي .

استطاعت "دانيال" أخيرا أن ترد :

- إنهم لن يسمحوا لك أبدا بالدخول .

- ربما ، ولكنها الرحلة التي تستحق العناء . أليس كذلك ؟ إن هذا الرجل لا علاج له .. إن مستقبله في يديها والرضيع في يديه ومع ذلك يستمر في مغازلتها دون خجل . ولكنه يعجبها كثيرا ولا تستطيع أن تشعر معه بالضيق .. على الإطلاق . قال وهو يناولها "كاميل" :

- خذيها .

أصابها رعب مجنون فأمسكت "دانيال" بالرضيعة وكأنها حقيبة بقالة مليئة بالمشتريات . قال لها :

- انتبهي . إنها مبللة .

ولكنه تأخر في إنذاره . أمسكت "دانيال" الطفلة على طول ذراعيها وألقت نظرة قلقة على البقعة العريضة الرطبة التي زينت صدر قميصها .

أخذت تغمغم في غيظ :

انتظري كما يحلو لك يا "سوزانا" ولكني سأنتقم منك عند عودتك مهما طال غيابك ! " .

قال "ريمي" بعد أن استعاد الطفلة ووضعها على مائدة تغيير الحفاضات .

- لدي شعور أن هذا العمل لا يعجبك على الإطلاق .

- إنني أحب الأطفال كثيرا ماداموا لا يتقيئون ولا يتبولون عليّ وليس لهم شعر كالزغب . أطفال "سوزانا" هؤلاء يخرجون عن الطائفة التي أحبها .

قال "ريمي" وهو يغير الحفاض للطفلة:

- إنهم بالتاكيد ليسوا بالشناعة التي تصفينها.

- هل شاهدت فيلم "اللعنة"؟ حسنا.. قد أكون مبالغة ولا أعرف شيئا كثيرا عن الأطفال ، فقد انفصل والداي وأنا في سن الثانية وتربيت فوق ارصفة العالم. ولن تجد من يماثلني في قدرتي على تهدئة عارضة ازياء مخبولة او مصور في ازمة نفسية. ولكن الأطفال ...

اختفى صوتها ولاحظ "ريمي" أن عينيها الرماديتين غشيهما حزن. أخذت اصابعها تشد في عصبية أطراف غطاء من الحرير موضوع فوق مقعد هزاز. لابد أن حكايتها أكثر تعقيدا عما صرحت به .

قال "ريمي" في دهشة لأنه عاش محاطا بابناء وبنات إخوته وأقاربه:

- إذن هذه هي المرة الأولى التي ترعين فيها أولاد أختك؟

ردت "دانيال" معترفة وهي تشعر بوخز الضمير:

- نعم.. إنني أقوم برحلات باستمرار من أجل عملي وقد عدت لتوي من رحلة عمل في "التبت".

أراح "ريمي" "كاميل" في مهدها وناولها الفيل:

- في "التبت"؟ هل لك أسرة هناك ؟

- لا بالتاكيد !

اعتقدت أنه لاحظ لمحة من عدم الرضا في عيني الشابة السوداوين ووجهت الحديث إلى الوجهة التي لا تستطيع أن تنحرف عنها. سألته:

- منذ متى وانت تعمل مربية؟

- أوه.. ليس من مدة طويلة.

أخذ "ريمي" وقتا طويلا عن المألوف لغسل يديه.

قالت:

- أعتقد أن علي أن أطلب منك سيرتك الذاتية وخطابات التوصية.

- أخشى أنني نسيت إحضار سيرتي الذاتية ولكن صدقيني. إن لدي العديد من الخبرات، وقد أحضرت معي أوراقا من وكالة التخديم.

جفف يديه بمنشفة صغيرة وردية، ثم أخرج استمارة من ورقتين من جيب بنطلونه الخلفي وناولها لها . قالت بصوت حاد مخنوق مصحوب بابتسامة ضيق:

- لن نحتاج إليها.

كانت تحاول جاهدة أن تسترد تفكيرها السليم ، لم يكن من اللائق أن تستاجر مربية تؤثر عليها هذا التاثير الرهيب. قالت:

- لا ينطبق عليك حقا الشروط التي احتاجها.

قال لها مؤكدا بصوت ممطوط:

- بل تنطبق. وهذه هي المشكلة.. ربما تنطبق علي الشروط أكثر من اللازم..

بدأ العرق ينضح من باطن كفي "دانيال":

- لست أدري إلى ماذا تلمح؟

تراجع للخلف قليلا بهدف أن يخفف من التوتر الذي ساد بينهما. إنه في حاجة إلى هذا العمل والنقود التي سيحصل عليها منه ، علاوة على ذلك هناك هذه السيدة الراقية ذات العينين الفضيتين والشعر الذي يلمع كالقمر في الشتاء. ثم أكثر من ذلك فإن هذه الوظيفة هي المجال المغناطيسي الذي يدور حول "دانيال هاميلتون" ويرغب في أن يستكشفه وعندما يستقر فلا مانع بعد ذلك من أن يعتني بخمسة أطفال صغار. ولكن يجب أولا أن يحصل على الوظيفة وهو محتاج إليها حاليا بشدة. لا يهم المصير الذي تحاول "دانيال" أن تلقيه فيه

بسبب الانجذاب الذي تحسه نحوه.

أطلق زفرة طويلة ومرر يده على شعره ثم اتخذ مظهرا رزينا وقال مؤكدا:

- اسمعيني! أنت في حاجة إلي مربية وانا في حاجة إلى عمل واعرف كيف اتصرف مع الأطفال واعدك بان احسن سلوكي.

- أجد صعوبة في تصديقك باعتبار ما رايته منك.

- لم اكذب عليك عندما ادعيت انك تجذبينني ولكني أكرر عليك انني أحتاج الوظيفة وانت تحتاجين مربية . من سيتصل بك؟

- إنه "رامبو" الذي عليه الدور.

برزت كرنبة ترتدي بيجامة مكرمشة ووضعت على وجهها قناع وجه "رونالدريجان" يعلوه شعر برتقالي، وظهرت على عتبة حجرة الرضاعة. وتحت ذراعها كلب أسود في أبيض من الفراء وقالت:

- الخالة "دانيال"؟

- ماذا يا "أميرواز" هناك؟

- إن "چيرمي" يقوم بتعليق "چولي" من قدميها على نافذة حجرة المخزن.

الفصل الثالث

وقف "ريمي" أمام باب وكالة "سافوي" كي يسترد سيطرته على نفسه. كانت الوكالة تقع في مبنى ضيق من الطوب الأحمر انشئ في الأيام الأخيرة من الاحتلال الفرنسي لـ"نيو أورليانز". كانت ابوابه مطلية باللاكيه الأسود، وشرفاته من الحديد المشغول الرقيق في الطابقين الثاني والثالث. وكانت الشرفة التي تشبه جميع الشرفات على طول الشارع توحي بان المكان عبارة عن فندق من نوع معين. واللافتة النحاسية اللامعة هي الدليل الوحيد على ان بالمبنى مؤسسة ناجحة.

ضبط "ريمي" رباط عنقه وحاول أن يرتب خصلات شعره المتمردة. إن أطفال "بوفييه" حقا شياطين ووحوش. ولكنه لن يعترف بذلك أمام اخواته.

رسم ابتسامة على شفتيه ودخل البيت في خطوات واثقة وكانه

www.rewity.com مرموزية

عائد لتوه من نزهة عادية ، كان داخل المبنى رقيقا مثل الشرفة . وكانت على نافذة حجرة الاستقبال العالية ستائر من القطيفة ذات اللون البني الفاتح ونفس القماش كان يكسو أرائك مريحة مرصوصة حول مائدة منخفضة مغطاة بالمجلات لاستقبال الزبائن.

وهذه الأناقة الواضحة لم يكن يعيبها سوى مجموعة اللعب متعددة الألوان وبعض المقاعد الصغيرة المصنوعة من البلاستيك والمخصصة لأطفال الزبائن وتشغل ركنا من الطرقة .

- كانت "اريك" أخت "ريمي" الصغرى جالسة خلف مكتب الاستقبال وسماعة التليفون معلقة بين اذنها وكتفها . كانت تسمع الرسائل التليفونية وفي نفس الوقت تقلب في مجلدات ضخمة قانونية مبعثرة امامها وتسجل ملحوظات في كراسة امامها . رفعت عينيها واستقبلت "ريمي" - بابتسامة - الذي فتح ذراعيه ليستقبلها .

وعندما وضعت "اريك" السماعة جلس "ريمي" على ركن المكتب ومد لها يده وراحتها نحو السقف .

- هيا ضعي الرهان يا أختي الصغيرة .

- لماذا ؟

- لماذا ؟ لأنك مدينة لي بعشرين دولارا .

- إنني أجهل عن أي شيء تتحدث ؟ ثم إن "جيزيل" ليست مسرورة على الإطلاق . هل جننت حتى تظل في المكتب إلى الساعة الرابعة .

- أوه .. ولكني لم أستطع أن أكون هنا ، وفي نفس الوقت اثبت لك انني مربية ممتازة .

اخرج العقد المكرمش من جيبه وناوله لـ"اريك" :

- انا الآن رسميا المربية لأطفال "بوفييه" وهذا هو العقد محررا وموقعا بالتاريخ .

فردت "اريك" الورق وهي ممتعضة :

- ولكن تلك البقع أسفل العقد مثيرة للاشمئزاز .

همهم "ريمي" :

- إنها لا شيء .. بعض الدماء لا أكثر .

- دماء ؟ أتمنى أن تكون دماءك .. أنت مربية ؟ كم سنرى من عجائب؟

انفتح الباب فجاة وراء ظهره ودخلت "جيزيل" الأخت التوءم لـ"ريمي" كالإعصار البشري ورغم أناقة ثوبها الذي ترتديه بدت كانها قطة متحفزة للقتال . تراجع "ريمي" و"اريك" للخلف بحركة غريزية بينما أطلقت "جيزيل" دفعة السباب متعدد الألوان في لهجة موسيقية شعبية باللغة الاسكتلندية ، ثم عادت للحديث بالإنجليزية.

- ماذا حدث لكما أنتما الاثنان ؟ هل تحاولان تحطيم سمعتنا ؟ أنت تغطين على "ريمي" بينما يتسكع هو في المدينة متنكرا في صورة مربية . ماذا يعرف عن الأطفال هذا المخلوق ؟ إنني أسالك؟

لم تهدأ على الإطلاق أمام النظرة الجريح لأخيها وصاحت وهي توجه أصبعا مطليا باللون الأحمر اللامع نحو "ريمي" :

- وانت .. هل فقدت عقلك ؟ إنك فقط لم تكن مربية وإنما انت في حاجة إلى مربية تربيك .

قال دون أن يهتز :

- لقد حصلت على الوظيفة .

قالت "جيزيل" تواصل الحديث دون أن تعيره أي انتباه :

- لقد مثلت دور إحدى مربياتي بينما هن افضل مربيات في كل "نيو أورليانز" وأحسنهن تعليما .. ماذا قلت ؟

بدت ابتسامة الرضا التام تضيء صفحة وجه "ريمي" واستعاد العقد المكرمش من "اريك" ثم أخذ يلوح به أمام عيني "جيزيل" التي أخذته باطراف أصابعها وهي مشمئزة وقالت معلقة :

- هل سقطت أسفل سيارة ؟

- هذه هي الحادثة الوحيدة التي لم اتعرض لها من بين مئات الحوادث .

لقد اضطر "ريمي" للتسلق إلى سقف المخزن كي ينزع "چولي" من بين يدي "چيرمي" ثم إن "اميرواز" حاولت إطعام العقد لتلك الكتلة المفترض انها كلب وقد سارعت بدفنه في الحديقة . واضطر "ريمي" لاستعادته بعد أن حفر أسفل شجرة شائكة مما أدى إلى نزف دمه الغالي على العقد .

همهم "ريمي" :

- على أية حال فإن الصفحة الأخيرة هي المهمة .

قالت "جيزيل" :

- ليست هذه هي المشكلة . ولكنك لم تتلق تدريبا وليست لديك خبرة.

صاح "ريمي" :

- كيف تجرئين على هذا القول . إنني أتولى العناية بالأطفال دون انقطاع ويكفي أطفال "اليس" و"إميلي" إن لدي خبرة واسعة وعريقة .

- أوافق ولكن ..

اتسعت عينا "جيزيل" عندما قرأت سطور العقد .

- خبرني أنني لست أحلم .. إنه يخص آل "بوفييه" !

تدخلت "اريك" :

- لقد قدمت السيدة نفسها في التليفون تحت اسم "هاميلتون" .

- أراهنك انك لو رجعت إلى كل وكالات التخديم لن تجدي مربية دموية واحدة تستطيع العمل لدى "بوفييه" . لقد بدأت القائمة إذن تحت اسم "هاميلتون" .

حاول "ريمي" أن يشرح وهو على استعداد للدفاع عن "دانيال".

- لم يكن هذا مكرا منهم .. على أية حال من سترسلينها بدلا مني ؟

- لا أحد .. ولن أرسل حتى الشيطان شخصيا .

قالت "اريك" في سخرية :

- في هذه الحالة فإن "ريمي" هو الخيار الوحيد الممكن .

قرص "ريمي" أخته في خدها بينما سالت "جيزيل" وكان أخاها سيشترك في مهمة انتحارية .

هز كتفيه بلا اكتراث بينما صورة "دانيال" تطوف أمام مخيلته ونظرة الذهول المشوب بالوقاحة في عينيها عندما اكتشفت مدى انجذاب كل منهما نحو الآخر ونظرة الحزن على وجهها عندما اعترفت انها تجهل كل شيء عن تربية الأطفال . وإذا كان سيقبل هذه الوظيفة فالمؤكد أن ذلك سيكون لأنه يريد أن يكون بالقرب من "دانيال هاميلتون".

طبعا هذا هو السبب .

- أنا أعرف تربية اللأطفال ثم انا في حاجة للنقود .

فكرت "جيزيل" في أن الوظيفة المعروضة على توءمها لا تناسب مستوى أخلاقه ولا كرامته بالإضافة إلي ما يعانيه من البطالة.

قالت بعد أن عضت شفتها :

- ولو فرضنا أن السيدة لن تجد شخصا آخر وانك تعرف حقا التعامل مع الأطفال فإنني موافقة والوظيفة لك .

اكتفى "ريمي" بشكر توءمه بابتسامة وإن كان في الحقيقة يريد أن يطير فرحا ويأخذها بين ذراعيه .

سألته :

- ومن تكون "دانيال هاميلتون" هذه ؟ ولماذا لم توقع السيدة "بوفييه" بنفسها ؟

- لأنها في رحلة شهر عسل ثانية ، و"دانيال" أخت غير شقيقة.

لمعت ومضة مكر في عيني "اريك" السوداوين وهي توجه القلم الرصاص نحو أخيها :

- "دانيال" ؟ صفها لي .. هل هي جميلة ؟

غمز لها "ريمي" بعينه ، ولكنه لم يمنع الاحمرار من أن يصعد إلى خديه وكانه مراهق ضبط وهو يحلم سرا بمعشوقته .

عقدت "جيزيل" ذراعيها على صدرها واخذت تطرق الموكيت بكعب حذائها الوردي ونظرت إلى أخيها النوعم نظرة ثاقبة . ثم قالت :

- ها نحن وصلنا إلى لب المشكلة ! انت تريد هذه الوظيفة من أجل امراة جميلة .

قال "ريمي" بوجه عابس :

- إنها محتاجة للمساعدة .

- لا يا أخي الصغير .. انت الذي تحتاج إلى مساعدة لأنك تحشر نفسك في وضع دقيق مع إحدى العميلات .

أخذ شارب "ريمي" يتحرك ذات اليمين وذات الشمال كذيل قطة ضبطت في حالة تلبس ، وظل تائها وهو يتامل اصابعه . قالت "جيزيل" :

- اقسم لي قسما لا رجعة فيه انك لن تلوث سمعتي .

حك "ريمي" فكه بيده اليمنى . كان شيطانه الصغير يهمس له أن هذا القسم اللعين لن يتيح له أي فرصة للعمل بحرية . قال مؤكدا :

- اعدك بذلك .

انفجرت "اريك" في الضحك :

- أيها الماكر اللعين .. كان الثعلب يمكن أن يبتعد عن الدجاج .

نكش "ريمي" شعر اخته "اريك" القصير . إنها قاربت من الحادية والعشرين . وتحب دائما أن تعاكسه وكانها لاتزال في الثالثة عشرة من عمرها . اطلقت "جيزيل" زفرة طويلة وقالت :

- إن من يراكما انتما الاثنين لا يظن أن واحدة ستصبح محامية، والثاني سيصبح عالما ضليعا .

قال "ريمي" وهو يبتسم ابتسامة صبيانية :

- الثنائي العبقري ؟

صاحت "جيزيل" مستسلمة :

- ماذا يمكنني أن افعل بك ؟

صاح وهو يمسك بها من وسطها ويجرها :

- أن ترقصي !

# # #

زمجر "بتلر ماك دويل" موبخا :

- اوه .. يا لظهري المسكين .

كان الوجه المتالم عابسا عبوسا رهيبا . ضاقت عيناه وهو يتاكد أن "دانيال" لا تشكوه . ولكنها اكتفت بان تذرع الحجرة ذهابا وإيابا ، وتجعد جبينها بشدة من القلق . قال :

- انا اسف يا ابنتي العزيزة لأنني لم أستطع أن أساعدك . ولكنني متاكد من انك ستخرجين من المشكلة كالشعرة من العجين .

قالت بصوت باتر :

- انت تقول ...

ناولته كوبا من الماء النقي وقرصين ابتلعهما في امتعاض قبل أن يقول مكملا كلامها :

- إنني حزين جدا لأنني تركتك وسط المهمة .

قالت مؤكدة :

- إنها ليست غلطتك .

جلست على حافة السرير الذي يرقد فيه الرجل الذي عرفته منذ طفولتها . كان "بتلر" مثل والدها ووالد كل متشردي عائلة "هاميلتون" بما فيهم "لورانس هاميلتون" نفسه . كان قاسيا ولكنه محبوب وهو

موجود دائما عندما يحتاج احدهم إلى المساعدة او إلى ركلة في مؤخرته كان يحبهم جميعا وكانهم اولاده .

والآن وسنه ستون عاما لازال شعره احمر وممشطا جيدا ومفروقا في النصف وملتصقا بجمجمته بكريم التثبيت المشكوك في فاعليته. إنه الرجل الذي كان يعنى دائما بركبتي الفتاة اللتين تتعرضان دائما للجروح عندما تدخن السجائر خفية عن والدها فوق إحدى الأشجار ..

كان مرتفع الجبهة عريض الذقن بارزه للامام وانفه بارز . كان يمتلك التقاطيع الاسكتلندية الحادة والقاسية التي ورثها عن والده وكذلك لثغته عند نطق حرف الراء رغم أنهما عاشا أكثر من نصف حياتهما في الولايات المتحدة .

قال مصرا وقد ظهرت على وجهه تقطيبة الألم :

- ومع ذلك فإنه يضايقني ولكنه كما قلت لك : إنني متأكد من انك ستخرجين من المازق لو نسيت مخاوفك .

- لقد استاجرت مربية .

لم تستطع "دانيال" إلا أن تقاطعه : لأنها لا يمكن أن تتحمل - بعد الذي فعلته - أن تسمعه يقول لها : "انسي الماضي .

كانت تلك الذكريات لاتزال حية وطازجة ، والحزن عميق في قلبها . اتسعت عينا "بتلر" الزرقاوان واختفت كل آثار المعاناة والألم من كلامه.

- ماذا فعلت ؟

- لقد فعلت ما يمكن أن تفعله اية فتاة غنية في مكاني في مواجهة المحنة ، لقد استاجرت شخصا لمساعدتي ويبدو عليه الكفاءة الشديدة رغم انه ليس تقليديا .

- إنه ؟

- "ريمي" "ريمي دوسيه" وسينتقل إلى هنا الليلة وانا واثقة بانه لن

يخرج من هنا سالما . ولا تقلق على شيء .

نهضت واصلحت وضع الملاءة ذات الإطار الأصفر :

- يجب أن أعود لاعتني بالرضيعة .. هل تحتاج شيئاً ؟

قال بصوت خفيض :

- لا .

شملت "دانيال" الحجرة بنظرة دائرية ووجدت بجوار السرير الكبير الخشبي مائدة عليها غطاء من الرخام و"كومودينو" منقوش وفي الجهة المقابلة دولاب كبير لامع حيث وضع في وسطه جهاز تليفزيون ومجموعة شرائط تسجيل كاملة . باختصار كل ما يحقق الراحة والرفاهية والأهم ان كل ذلك بعيد عن متناول ايدي أطفال "بوفييه" . كم ودت من صميم قلبها ان تتبادل المكان مع "بتلر" .

قالت وهي تتجه إلى الباب :

- استرح جيدا .

همهم :

- وانت كذلك يا حلوتي .

لو لم تكن "دانيال" مشغولة بافكارها الخاصة للاحظت الشعور بالذنب الذي يشوب صوت "بتلر" ولكنها كانت من التعب بمكان حتى تنتبه إلى ذلك . خرجت من الحجرة ودخلت سلم الخدم . عليها أن تظل ممسكة بالأمور لحين وصول "ريمي" وبعدها ستعمل على أن تبتعد أكبر مسافة ممكنة عنه وعن هؤلاء الصغار الأعزاء حتى عودة "سوزانا" التي ستتولى بعد ذلك العناية بهم .

كتم "بتلر" انفاسه وهو يسمع صوت خطوات "دانيال" تبتعد .. يا للصغيرة المسكينة ! إن الإرهاق باد عليها لدرجة مخيفة . إنه واثق بانها سترتفع فوق الأحداث ولكن الخطوط البنفسجية حول عينيها

وفوق جبينها تقول له العكس . ثم إنها استاجرت مربية ! إن الأمور لا تسير أبدا حسب ما خطط .

القى بالاغطية جانبا وجلس على حافة السرير ثم وضع في زجاجة الاقراص القرصين اللذين تظاهر بابتلاعهما أمام عيني "دانيال" . مط ذراعيه إلى أعلى ثم مال بعد ذلك للأمام إلى ان لمست اصابعه قدميه . وعندما انتهى من تمريناته الرياضية القصيرة مد يده إلى "الشوفينيرة" وطلب رقما بالتليفون . قال بصوت منخفض :

- آلو ! إنه أنا .. لدينا مشكلة صغيرة .

الفصل الرابع

قال "اميرواز" في حذر :

- ما هذا يا خالة "دانيال" ؟

- مفاجاة بالمكرونة .

- وما المفاجاة ؟

كان "جيرمي" الذي يبحث داخل المكرونة بالشوكة قد أصدر زمجرة بعدم الرضا .

- حسنا .. سأصاب بالدهشة إذا لم نسقط مرضى من الأكل .

انقبض قلب "دانيال" . لقد اكتشف الأطفال بسرعة انها لا تعرف الطهي ولم يكن الخبر جديدا عليها ولكن بعد أن بذلت جهدا لإعداد وجبة بيديها أملا في أن ينتهي الأمر بان يعتبروها كامهم أصيبت بجرح في كرامتها من رد فعلهم .

قالت "دانيال" في نفسها وهي تبتلع مرارة الهزيمة : إن عليها أن

www.rewity.com مـــرويـــة

تعترف بانه ليست المكرونة هي التي ستجعلهم يحبونها ولكنها ليست قادرة على ربط العلاقات العاطفية . وهذا كل ما في الأمر من تحاول أن تخدع ؟

كانت مدركة منذ وقت طويل انها لم تخلق للحياة العائلية . ولماذا إذن تخنقها هذه الفكرة فجاة . لقد كانت حياتها - على ما هي عليه - تعجبها . كانت حرّة تفعل ما تريد وقتما تريد . وإذا تملكتها الرغبة في تصوير أرض المعركة فما عليها إلا أن تمسك بالة التصوير وتحجز تذكرة بالطائرة. . وعندما تقضي الليل في حجرة التحميض المظلمة لإظهار الأفلام لا يشكو أحد من انها تهمله .

كانت مغامراتها في الحب لا تستمر طويلا وكانت متفرغة تماما لفنها . إنها ستظل قبل كل شيء فنانة خاضعة لنزوات فنها ، ولن تعرف بالتاكيد ان تطهو سوى مكرونة معجّنة .

بعد اقل من اسبوع قضته مع أطفال "بوفييه" غرقت في التوتر والتشتت المستمرين ولم تعد تتحمل اكثر من ذلك . اين إذن باب الهروب الذي يسمح لها بالفرار من ملجا المجانين هذا ؟ سالت "جولي" وهي تتامل الكتلة التي يتصاعد منها البخار في طبقها :

- هل حقا سناكل هذا ؟ .. إنه مثير للاشمئزاز .

وبخثها "دانيال" بعينيها ولكن كتفيها هبطتا من الإحباط عندما رات الكتلة المتماسكة كالعجين .. لهم حق .. إنه مثير للاشمئزاز . قال "جيرمي" مازحا وهو يقلب محتويات طبق "تانيا" :

- إن هذا يشبه المخ المهري .. إنه مخ حيوان الأبسوم .

اطلقت "تانيا" صرخة رهيبة وهي تقول :

- امنعيه يا خالة "دانيال" . إنني ساتقيا .

استفز رد فعل "تانيا" شقيقها فضاعف من تحديه :

- بل مخ تمساح زاحف .

صرخت "تانيا" :

- ساتقيا .

تدخلت "دانيال" :

- كف يا "جيرمي" وإلا منعتك من العشاء .

قال "جيرمي" وهو يدير عينيه :

- ها .. ها ! هل هذا تهديد ؟

قالت "دانيال" :

- اسمعوا يا أطفال .. هذه الوجبة مفيدة لكم لانها غنية بالبروتينات .

همهم "جيرمي" :

- الصراصير أيضا غنية بالبروتينات ولذلك ناكلها .

- ربما سيحدث هذا !

كان صوت "دانيال" مهددا بدرجة كافية حتى يمكن ان يصدقوا كلامها . انحنت الرؤوس الحمر الأربعة فوق الأطباق أمامهم ولم يعد يسمع سوى صوت الملاعق .

حاولت "دانيال" من جانبها أن تطعم "كاميل" الجالسة بجوارها في مقعدها الأصفر . لم تكن تعرف شيئا عن وجبات الرضع فاختارت ثلاث علب مختلفة معتمدة على الانسجام بين الوانها . وبدا أن اختيارها أعجب "كاميل" التي ابتلعت ملعقة وثانية بنهم شديد ثم تقيات الثالثة على خالتها . كانت "دانيال" لا تخاف من القيء فلقد تقيات عليها حية من نوع الكوبرا في إفريقيا ، ومع ذلك لم تتوقف عن التقاط صورة لها . وقد طافت هذه الصورة كل أنحاء العالم فوق مجلة "الجمعية الوطنية الجغرافية" ومع ذلك فإن حيات "سوزانا" الملاعين غطوها بإهانات أكثر ألما من القيء . لقد حان الوقت إذن لحضور "ريمي" كي ينقذها .

هل ينقذها بان يهمس في اذنها بكلمات تجعل راسها يدور ؟ ولكن كل هذا خارج الموضوع . من الآن عليها ان تسلك سلوكا عاقلا ولا داعي للتصورات المخبولة عن الرجولة والعضلات المفتولة.

رات بقعة من حبات البسلة المضغوطة على الجدار تزينه وهي تحاول تنظيف وجهها الارجواني بيدها الخالية . على اية حال فإن كل ذلك لن يسبب لها ضررا ان تحلم فقط . في سنها المتقدمة هذه لم يعد من حقها ان تحلم وتتخيل الرجال الشباب الأصغر منها . وإذا اضطرت لاختيار موضوع احلامها فلن تجد افضل من "ريمي دوسيه" ابدا . ولكن لتحذر فاللمس ممنوع .

وسط احلامها ناداها صوت رجل موسيقي من على عتبة المطبخ.

- مساء الخير يا "دانيال" اين انت ؟

احست "دانيال" بدبيب النمل يملأ معدتها عند رؤيتها لـ"ريمي دوسيه" في چينز غير مكوي وقميص ذي لون اسود . تساءلت "دانيال" : لماذا يسالها عن مكانها وليس عن كيف حالها .. إنه يعرف تماما اين هي : جالسة امامه ومغطاة بخليط متعدد الالوان والأصناف وتقوم بإعطاء وجبة للرضيعة .

لم يكن المنظر عاطفيا على الإطلاق ، ولكنه على اية حال خارج عن المالوف . لتقل لنفسها مهما كان ما سيقال فإن "ريمي" سيكون المربية من نوع "ماري بوبنز" لكن بلحية . قالت بلهجة متقطعة:

- مساء الخير يا سيد "دوسيه" .. قولوا يا اطفال مساء الخير للسيد "دوسيه" .

لما لم تسمع ردا سوى همهمة مقرونة بصوت احتساء شراب الخوخ من "كاميل" نظرت حولها لقد هجر الأطفال السفينة بينما هي تحلم برجولة ومزايا "ريمي" ولم تحس بفرارهم . إنها حقا أم رائعة . قال "ريمي" وهو يضع على الأرض حقيبته الرياضية من النايلون البني :

- إنهم جميعا ملتصقون بالتليفزيون .

كان جانبا شاربه ساقطين فوق طرفي فمه واظهر اشمئزازه عندما

رأى بقايا الطعام في الأطباق . قالت له في تحد :

- لا تخجل وقلها ؛ لأنني أستطيع أن أتحملها لأن ذلك مكتوب على وجهك .. انا لست طاهية .

- انت لست طاهية .

بحركة حريصة التقط شوكة من احد الأطباق وكانه ينتظر ان تهجم عليه المكرونة . وسالها :

- ما هذا ؟

- إنه مفاجأة بالمكرونة .

- وهل اكلوها ؟

- لا .

- إن هذا لا يدهشني .

لم يدهش "ريمي" وإن احس ببعض الخيبة لانه اينما ذهب فإن النساء يعرفن الطهي وكذلك تربية الأطفال . ومع ذلك فإن "دانيال" لم تتاقلم لا على هذه ولا على تلك من فنون النساء .

ومع ذلك اثارت دقة تقاطيعها شبه الكاملة اهتمامه ، كان ذقنها متحديا ، وكذلك عيناها الرماديتان اللامعتان . ثم ماذا تفعل وهي ملطخة من راسها لقدميها بطعام الأطفال ومتورطة مع الرضيعة حتى يمكنها أن تحتفظ بوقارها وكرامتها ؟

قالت له وهي ترفع سبابة يدها اليمنى :

- أترى هذا الأصبع ؟ إنه أصبع الطهي .

- أصبع الطهي ؟

- نعم .. إن هذا الإصبع يستطيع أن يجمع رقم اي مطعم في اي مكان من العالم . اي شيء آخر احتاج إليه ؟ إني اسالك .

أحضر "ريمي" منشفة من فوق المائدة واقترب منها ليمسح قطعة من كمبوت الخوخ من فوق انفها . طرفت بعينيها .. حتى اصابعه خلال قطعة القماش كانت تحرقها .. هذه بداية سيئة ! خفضت عينيها لتحصر الخسائر . كانت رسوم مرحة بالوان خضراء وحمراء ولون

الخوخ تزين الـ"تي شيرت" وذراعيها . وكذلك بقع حمراء ثلاثية الأبعاد.

قال :

- ليس شكلك حقا مقبولا يا عزيزتي وافضل ما يمكن أن تفعليه هو أن تذهبي إلى الحديقة وترشي نفسك بالماء من الخرطوم .

- لا .. شكرا . إنني افضل أن آخذ دشا .

قال بصوت ناعم كالمخمل :

- وانا كذلك .. هل تريدين مساعدة ؟

عمل ذهنها بصورة محمومة في تصور اقتراحه ولكنها صاحت:

- لا .. أستطيع التصرف بمفردي .

سألها :

- هل انت متأكدة .. انا ماهر جدا .

- هل نسيت انك وعدتني أن تحسن سلوكك ؟

- حسنا لن أستمر أكثر من ذلك .

اختارت "كاميل" هذه اللحظة بالذات كي تصرخ صرخة مرحة وأن ترسل قبعتها المليئة بالعصيدة في وجه "ريمي" . اعجبت الطفلة بمغامرتها فبدات تلقي قنابلها في كل اتجاه . ابتسم "ريمي" وقد برزت أسنانه :

- يبدو انني سأضطر إلى أخذ دش .. أيضا .

قالت "دانيال" مؤكدة :

- هذا الموضوع خارج المناقشة .

استطاعت أخيرا أن تتمالك نفسها كي تنهض واشارت إليه : أين يضع متعلقاته . وخرجت من الحجرة ورأسها مرتفع وهي تكرر في نفسها "ممنوع اللمس" . وكانها تردد لحنا ساحرا . مطت "كاميل" جسمها ومدت يدها نحو "ريمي" كي يخرجها من مقعدها واصابعها ملوثة بالعصيدة وفوطة صدرها ملوثة بكل الالوان بينما خصلة شعرها القصير الاحمر ارتفعت على رأسها على شكل موضة رؤوس

"البانكس" بفضل عصير الخوخ الذي تحول إلى كريم تثبيت الشعر وبدا عليها كانها في الفردوس.

قال لها "ريمي" بلثغة الأطفال :

- انت أيضا سعيدة مثل جدي صغير وسط بركة من الطين . أليس كذلك ؟ تعالي يا ساحرتي الشريرة . انت السيدة الوحيدة التي أستطيع أن أحميها .

عندما خرجت "دانيال" من حجرتها منتعشة بعد أن أخذت دشا وارتدت بنطلون قطن وبلوزة بلون بنفسجي ، كان "ريمي" قد انتهى من حمام "كاميل" ووضعها وسط غطاء مزين بكنجارد أبيض محاط بقطيع من الأرانب الصفراء . أما باقي الأطفال فكانوا ملتصقين بالتليفزيون وهم مسحورون باخر اكتشافات "ماجايفر" . قالت "دنيال" وهي تراقبهم من الردهة :

- إنهم حقا هادئون .

كانت قد استردت سيطرتها على نفسها بعد الحمام وإنها قادرة على الاستمرار على هذه الحالة بعد أن بعدت عن تاثير "ريمي" . وبعد أن قاست المسافة بينهما . قالت وهي تبتسم في مكر :

- بدون خبرة أستطيع أن أقول : إن هذه أسرة عادية .

قال "ريمي" وقد نسي مغامرته فوق السقف :

- هيا .. إن هذا المنزل يشبه البيوت التي تؤوي أطفالا .

وضع "ريمي" "كاميل" في مهدها وناولها كرة مطاط اخذت في الحال تمضغها بينما اكتفت "دانيال" بهز كتفيها وهي تشير بيدها إلى خلف البيت :

- لو كان لديك دقيقة فإنني سأقدم لك "بتلر" . إنه وقت تناول أدويته وإذا حالفنا الحظ فإنه سيشاركنا فيها .

فكر "ريمي" أن الأمر يتعلق بمزحة وتبعها دون أن يمنع نفسه من الإعجاب بمشيتها وهي تتبختر :

- من هذا الـ"بتلر" ؟ إنك لم تذكري لي كلمة عنه بعد ظهر اليوم، ولكن

مع كل تلك الدموع والمعارك نسيت أن أسالك عنه .

استدارت "دانيال" فجاة ورشقته بنظرة حادة مشوبة بالبرود كي تجعله يفهم أنها لا تحب تلميحاته عن عدم كفاءتها .

قالت بلهجة قاطعة :

- "بتلر" هو كبير الخدم عندنا .

- يا إلهي ! لقد ظننت أن هذه الشخصيات تنتمي إلى عصر ما قبل التاريخ .

- أرجو أن توفر على نفسك سخريتك يا سيد "دوسيه" . إن "بتلر" هو جزء من أسرتنا منذ أكثر من أربعين عاما وهو ما لا يمكن أن يقال عنك. في الحقيقة خبري عند من عملت مربية ؟

- إيه !

كان "ريمي" علي وشك أن يختنق من إجابته عندما وصل صوت مرتعش من خلف الباب الذي وقفا أمامه وكان بمثابة المنقذ له :

- "دانيال" ؟ هل هذا أنت يا حلوتي ؟

توغلت "دانيال في الحجرة وسارعت إلى راس سرير "بتلر" :

- إن صوتك متعب .. هل ساءت حالتك ؟

استند "بتلر" على الوسائد بعد أن اعتدل وهو يتالم ويبدو الامتعاض على وجهه .

- إنني مريض جدا ولكن ذلك سيمر . إن قلقي هو عليك انت .

- لقد قلت لك من قبل : الا تقلق .. كل شيء منتظم واود أن أقدم لك مربيتنا الجديدة .

قالت وهي تبتعد كي تحضر ادوية "بتلر" :

- هذا هو "ريمي دوسيه" . أقدم لك يا "ريمي" "بتلر ماك دويل" الوصي بـ فيلا "هاميلتون" من نصف قرن وهو حارسها .

تشابكت نظرات الرجلين . رفع "ريمي" حاجبيه امام قبضة الرجل العجوز القوية والذي تبعها بعد ذلك ببعض الانين ثم سقط منهوك القوى على الوسائد وقال :

- أرجو أن تعذرني يا سيد "دوسيه" لانني لا استطيع الوقوف ولكن كما ترى : إنني عاجز .

قالت "دانيال" :

- وسط ارتباكي الشديد اضطر "بتلر" للعناية بالاطفال ولم أكن هنا إلا من أجل المعرض الفني .

قال "ريمي" مطمئنا وهو يبتسم ابتسامة خادعة :

- اطمئن يا سيد "بتلر" . ساعتني بهم تماما وبالأنسة "دانيال" ايضا.

نطق العبارة الأخيرة بصوت منخفض ورغم انه قالها دون أن يبدو على وجهه أي تعبير إلا أن "دانيال" احست بالخجل واحست بان مجال عيني "بتلر" يخترقها تماما مثلما كان يحدث وقت مراهقتها وهي تقضي الصيف عند ابيها . بنظرة واحدة استطاع "بتلر" أن يخمن انها تتبادل الغزل مع جارهما الصغير "چيمس شريدان" . لم يتغير شيء وهي على استعداد أن تقسم انها لمحت في عيني العجوز انه فهم كل شيء .

قالت :

- إن السيد "ريمي دوسيه" أتى من أحسن وكالة في البلدة .

قال "بتلر" وعيناه لا تفارقانها :

- حقا ؟

أعطته القرصين ولكنها في ارتباكها لم تلحظ انه أحاطهما براحة يده . سال "بتلر" :

- ومنذ متى وانت تعمل مربية يا سيد "دوسيه" ؟

تنحنح "ريمي" ليسلك حلقه ومد كوب الماء إلى كبير الخدم . التقت عيناه السوداوان بعيني "بتلر"، وظل يتحملهما فترة طويلة دون أن يرمش .

قال "ريمي" بلهجة مليئة بالتلميحات الخفية :

- من الأفضل أن تبتلع دواءك المخصص للجياد وسيكون من المحزن

أن تختنق إذا لم تستخدم الماء .

زاد وجه "بتلر" عتامة واخذ يسعل ثم ابتلع جرعة من الماء وهو يحاول أن يبتسم .

- كم اشعر بالارتياح : لان احدا سيعاون "دانيال" في العناية بالأطفال .

بدأ طرفا شارب "ريمي" يتراقصان وقال :

- انا من رايك .

سالت "دانيال" وهي مندهشة لانه افرغ طبقه .

- كيف حال الغداء ؟

- ممتاز يا جميلتي . وبمناسبة الوجبات فإنني اعتقد انني ساتماثل للشفاء غدا كي استعيد مكاني في المطبخ .

- هذا الموضوع خارج المناقشة .

تدخل "ريمي" :

- أستطيع أن اعتني به يا سيد "بتلر" فانا ايضا طاه ماهر .

وجه "بتلر" نظرة محملة بالاتهام إلى "دانيال" :

- هل صحيح أنك لست طاهية ماهرة ؟

- حسنا .. حسنا فهمت .. كل العالم يعرف انني لست موهوبة لا في المطبخ ولا في تغيير الفراش .

أدهش "ريمي" المرارة التي سادت صوت المراة . . واخذت عيناه تنتقلان ذهابا وإيابا بينها وبين "بتلر" . وضبط التوتر الذي كانا يحاولان إخفاءه .

قالت "دانيال" بجفاء :

- سنتركك لتستريح .

إنها لا تحب الطريقة التي ينظر بها "ريمي" إليها ولا تحب أن تسمع ما سيقوله لها "بتلر" . حاولت أن تخفف من وطاة التوتر فاضافت :

- ثم لدينا رغبة في ألا نبقى سويا في مكان واحد لأن "چيرمي" قادر على أن يثبت الباب بالمسامير كي يمنعنا من الخروج !

عند عودتهما إلى المطبخ سالها "چيرمي" وهو متضايق :

- الا يضايقكما أن أقوم بالطهي بدلا منكما ؟

صاحت :

- بلى . بالتاكيد .. هيا اطبخ .. هيا ادخل واطبخ إذا كان هذا يسعدك وهو لا يهمني على الإطلاق بل سيريحني .

قال "ريمي" الذي كان يعد بزازة دون أن يتركها :

- يبدو عليك الضيق . هذا كل ما هناك .

شيء ما يزيد عصبية السيدة وهو على استعداد أن يراهن بأن الأمر يخص مشكلة جادة اكبر من مفاجاة المكرونة . احس بكل أنواع التيارات التحتية واحس بحاجته أن يقدم المساعدة والراحة لـ"دانيال" وكان يحس بالتوتر الشديد لأن التجربة علمته أن هذا النوع من النساء لا يطلب المساعدة .

هدات "دانيال" قليلا وراته يقوم بعمله بإعجاب كانت حركاته الواثقة وكانها تدل على أنه كان يعد البزازات طوال حياته . ولحسن الحظ أنه لم يشاهدها وهي تعتني بـ"كاميل" .

قالت :

- هل يبدو علي الضيق ؟

عادت إليها كل ذكريات عدم كفاءتها وكونت كرة ضخمة وصلبة في قلبها . والهدوء الذي بذلت جهدا خارقا كي تحصل عليه هجرها ، واحست أنها أكثر اضطرابا عما سبق :

- اعلم شيئا : إنني لست طاهية فظيعة فحسب وجليسة أطفال لا شيء وإنما ايضا سافلة سفالة الكلب .

كانت تتحدث بصوت قوي محاولة أن تخفي عواطفها . القت برأسها

للخلف بافتخار وحدجت "ريمي" بنظرة احتقار وهي تتجنب ان تلتقي بعينيه .

اكملت :

- يجب أن تتعود على هذا لاننا نحن النساء الثريات هكذا .

بعد هذه الكلمات خرجت كالسهم من المطبخ ولم تترك وراءها سوى حريق كلماتها مصحوبا بعطر "سان لوران" .

قطب "ريمي" ثم صفر من بين شفتيه :

- إنني أتساءل حقا : لماذا تتصرف الهانم كالتمساح ؟!

الفصل الخامس

ترسخ في ذهن "دانيال" أن "ريمي" يعتبرها سانجة ومخبولة .

خرجت إلى الشرفة - حافية القدمين - التي تطل على نجيل ضيعة "بوفييه" .

كانت إقامتها الطويلة في "التبت" عملا مجنونا وإن ساعدها على الشفاء ، وأن تضع الأمور في نصابها ، وأن تتصالح مع نفسها ومستقبلها وذكريات أحداث لندن .

عاشت هناك في كوخ بسيط على سهل "شانج تانج" ولا يصحبها سوى ثوب أهل التبت الطويل وماعز . كانت طوال النهار تلتقط مئات الصور للمناطق القاحلة بينما كرست الليالي للتأمل . وعند عودتها اعتقدت أنها وجدت السلام ولكنها لم تعد تمتلك من وقتها سوى الدليل على أن الأمر يتعلق بالتوازن الحذر والهش .

غزتها عاصفة من الياس فضغطت خدها على الخشب الناعم لإحدى ضلف الشرفة البيضاء . كانت رائحة الورود تطوف حولها وسط الجو الثقيل مما جعلها تشعر بالضيق . كانت الشمس قد غربت ولكن

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

العتمة لم تكن قد انتشرت في الضاحية الهادئة . في هذه اللحظة كان الحي الفرنسي من المدينة والمسمى بـ"المربع القديم" يبدأ في الحركة والحيوية .

مرت عربة تجرها الجياد محملة بالسائحين في الشارع ولوى الركاب أعناقهم ليتطلعوا إلى عظمة المباني القديمة ويمطروها بالصور الفوتوغرافية مما نزع من "دانيال" ابتسامة منهكة .

خرج "ريمي" إلى الشرفة و"كاميل" في منتهى الراحة وهي داخل المهد الذي صنعه من ذراعيه . رأته "دانيال" بركن عينها وهو يستقر على الأرجوحة وبدأ يعطي البزازة للطفلة . قال لها مشجعا :

- لماذا لا تجلسين يا عزيزتي ؟

ورغم صوت التحذير المنخفض الذي كان ينبهها الا تفعل شيئا إلا أنها لم تنتظر أن يكرر الدعوة .

عبرت الشرفة ولديها شعور أنها تغرق في رمال متحركة . على أية حال هي امرأة ناضجة وتتمتع بسن الحكمة . كم تكره هذا الوصف ؟ اكتفت بأن جلست بجوار هذا الرجل الذي سيعيش في نفس المنزل الذي تقيم فيه خلال أسبوعين وما عليها إلا أن تثرثر معه في أدب .

قالت بعد أن استقرت في ركن الأرجو حة ووضعت ذراعيها حول ركبتيها المنثنيتين :

- أرجو أن تعذرني لما حدث من قليل .. إنني أحس بصداع في هذه اللحظة .

سألها "ريمي" ووجهه بدون تعبير :

- لماذا ؟

كان إغراء الاعتراف له بالأسباب العديدة لعصبيتها قويا ولكنها قاومته :

- إنني لم أتعود على الوجود بين كل هذا العدد من الناس . لم يكن المكان الذي أعيش فيه في "التبت" يشبه على الإطلاق ميدان "التايمز" .

بدا الاهتمام على "ريمي" :

- وماذا فعلت هناك كل هذه المدة ؟

فكرت في نفسها أن تقول :

"كنت اتعذب وافكر واتامل واكفر عن ذنوبي وأحاول أن أشفى".

ولكنها أبعدت نظراتها عنه حتى لا يستنبط ما تفكر فيه . وأجابت :

- كنت التقط صورا .. أنا مصورة .

- من أجل مجلة ؟

- أحيانا . بصفة عامة أنا أعرض صوري في معارض وانشر البومات . والصور التي التقطتها في "التبت" ستنشر في كتاب عنوانه "صورة للتبت" .

بدا لها "ريمي" متاثرا وإن كان متشككا بعض الشيء ، غير من وضعه وأراح "كاميل" في وضع أكثر راحة في تجويف ذراعيه . ثم سألها :

- هل تقومين برحلات كثيرة مثل هذه ؟

- في كل انحاء العالم .

- وهذا لا يزعجك ؟

- ولماذا ؟ لقد تربيت في البراري وأمي كانت عارضة أزياء من الدرجة الأولى وكانت تصحبني اينما ذهبت .

- ولكن ألم تحدك الرغبة في أن تبقي في بلدك وأن تبحثي عن جذورك وتكوّني أسرة ؟

- وطني هو حيث اثبت الكاميرا أو أوجهها .

- والراحة ؟

ردت عليه ببرود :

- هذا ليس من شانك يا سيد "دوسيه" .

أحس "ريمي" بأن الأمر يتطلب فقط أن يهملها ولكنها ليست من الهوانم اللاتي يعاملن خدمهن باحتقار .

لقد عزم "ريمي" أن يكتشف كل الأسرار المخفية في عينيها الرماديتين.

سألها وهو يقترب منها قليلا :

- هل تحبين كل هذه الرحلات ؟

كان هذا السؤال لا يخفي اي فخاخ مما جعل "دانيال" ترتخي بعض الشيء .

- إنني اعشق الرحلات لاكتشاف العالم : العادات والناس والغذاء... إن هذا يسحرني .

نظر "ريمي" إلى الطفلة . إنه لا يشارك "دانيال" ولعها بالرحلات وكان يفضل لو أن اختلافهما يقع في مجال اكثر تحديدا . احست "دانيال" بوخز في قلبها وهي ترى "كاميل" بين ذراعي "ريمي" الآمنتين . اغلقت عينيها واحست بانها قد استرخت تماما وانها في امان مع ذلك الرجل الذي بجانبها والذي يهتم بالطفلة بطريقة طبيعية وكانه تعود على إعطاء البزازة للرضع طوال حياته . سالته كي تخرج عن افكارها العاطفية حوله :

- هل تقطن هنا دائما ؟

- نعم عائلتي تسكن "بابو" منذ حوالي قرنين .

قالت له بلهجة لاذعة دون أن تضحك :

- ولكن لا يبدو عليك انك تجاوزت سن المائة والثلاثين .

سالها بينما لمعت عيناه :

- اتقصدين بهذا السؤال انني ساظل دائما اصغر منك ؟

احمر خدا "دانيال" بدرجة تنافس لون زهور "الجيرانيوم" التي تزين جانبي باب الدخول وقرر "ريمي" الا يزيد من إحراجها اكثر من ذلك.

قال :

- لقد تركت ولاية "لويزيانا" مرة . ارسلتني شركة البترول التي كنت اعمل بها إلى "اسكتلندا" او بالضبط إلى "هيربريد" الجديدة.

كانت "دانيال" قد قضت شهرا من الصيف في "هيربريد" الجديدة حيث احبت جمالها وخشونة طبيعتها وصوت تكسير الرياح فوق سطح البحر وكرم ضيافة اهلها من سكان الجزيرة . ولم يشاركها "ريمي" رايها على ما يبدو .

قال :

- لقد اضطررت للعودة لانني لا استطيع الحياة إلا حيث تعيش اسرتي .

هزت "دانيال" كتفيها فسالها :

- كم من الإخوة والأخوات لك ؟

- خمسة ولكننا لسنا إخوة إلا من الأب عدا "توني" و"سكوت" فهما توءمان . ونحن متفرقون في جميع الجهات ولكننا على أية حال اسرة.

- يا إلهي ! هل كان لوالدك خمس زوجات ؟

قالت "دانيال" مؤكدة :

- إنها لعنة "هاميلتون" . إن النساء يقعن صريعات حب "لورانس" من أول نظرة . ولكنهن لا يتحملن استمرار الزواج به . والغريب رغم ذلك انهن ظللن صديقات له بعد الزواج ولم يكن من النادر ان بعضهن كن يقمن عنده .

- وهل تؤمنين بتلك اللعنة ؟

لم تستطع "دانيال" ان تنكر أن المغامرات لا تدوم طويلا وحسب مزاجها فهي تُرجع السبب إلى صعوبة اخلاقها او إلى اللعنة الشهيرة. وحاليا لم يكن لديها الرغبة في الرد .

القت نظرة جانبية نحو النافذة ومن موقعها ، كان من المستحيل أن ترى الأولاد ولكن ترى الأنوار وتسمع الضجة من التليفزيون .

سالته في مرح :

- ماذا فعلت مع القطيع الوحشي ؟ هذه اول مرة يكونون فيها عقلاء منذ كانوا في بطن أمهم !!

- لقد قصصت عليهم انني تلقيت تدريبي على اعمال المربيات في السجن .

احست "دانيال" بالخوف لحظة . لماذا لم تصر على أن تطلع على

www.rewity.com

أوراق اعتماده ؟ ربما قتل مجنونا ؟

وماذا لو أنها انتزعت الطفلة من بين ذراعيه وهربت بها إلى حجرتها وأغلقتها بالمفتاح والمزلاج ؟ لا .

إنها تفضل مصاحبة قاطع طرق هارب على أن تظل في بيت واحد مع الملعون "جيرمي بوفييه" .

قال "ريمي" :

- استرخي يا عزيزتي ! أنا بالضبط على ما أبدو عليه .

إن هذا الخبر لا يطمئن . إنه يبدو رجوليا لدرجة رهيبة ولا تقاوم ، وصورته تطابق أحلامها حول الرجل الذي تحبه ، ولكنه أصغر منها بكثير بحيث لا ينتميان إلى نفس المجموعة السكانية الواحدة.

استطاعت أن توجه إليه شبه ابتسامة :

- رائع !

- وأنا أجدك أكثر روعة يا "دانيال" .

أحست بالحرارة تغزوها ووجدت أنه ليس من الحكمة أن يجلس "ريمي" على طرف الأرجوحة معها ، وعندما حاول الاقتراب منها نظرت إليه نظرة سوداء فتوقف في الحال .

قال بصوت ملائكي وكأنه أحد أفراد كورال الأطفال :

- يجب ألا تلوميني ؛ لأنني حاولت ....

قالت له بحدة :

- هل أنت من نوع الـ"كازانوفا" من أهل "بابو" !

لابد أن تخجل من نفسك خاصة والطفلة بين ذراعيك !

لم يبد الضيق على "ريمي" وألقى نظرة حنان على الطفلة :

- يا لها من عروس محبوبة !

- نعم .

اعترفت "دانيال" وهي تنظر إلى ابنة أختها الصغيرة لم يكن أحد يتوقع أن هذه الكتلة الصغيرة الطرية يمكن أن تصبح أحد وحوش "بوفييه" . كانت "دانيال" صريعة هوى الطفلة من أول نظرة رأتها فيها

وعندما مدت يدها لتداعب حزمة شعرها الأحمر أحست بوخز في قلبها. قالت :

- أحيانا أعتقد أنها تحبني .

كان الجنون والهوس الذي يشوب صوتها قد رقق من مشاعر "ريمي" نحوها . إن المرأة المسيطرة والتي تشعر بالعزة قادرة أيضا على أن تكون باردة كيوم من الشتاء في "هيربريد" الجديدة . لقد حلت محل مخلوقة شاردة الذهن غير واثقة بنفسها وحزينة .

همس :

- طبعا .. أن تحبك .. أتريدين أخذها ؟

قالت "دانيال" ممتعضة :

- لا أحس بلهفة لأن أفعل ذلك .

- لا تقولي هذا .. يكفيك بعض التمرين لا أكثر .

اقترب مرة أخرى قليلا حتى إن ذراعه بدأت تلمسها .

وضع "ريمي" الطفلة بين ذراعي الشابة وقال :

- خذي واسترخي .. هذا كل ما هناك .

أدت النظرة الحانية التي ألقاها عليها إلى العكس ، حيث زاد توترها فضغطت بقوة على الطفلة النائمة حتى إن "كاميل" أصدرت تأوهات منخفضة وتجهمت وهي نائمة .

كرر عليها "ريمي" وهو يبتسم :

- استرخي ولا تضغطي عليها . إنها ليست كالأوكورديون .

استرخي يا عزيزتي فإنها لن تتكسر .

انتهز هذه المرة الفرصة ليضع ذراعه خلف كتفي "دانيال" التي كانت في حاجة للمساعدة حقا .

كانت الرغبة الطبيعية في حمايتها قد اجتاحته عندما رأى مدى عدم مهارتها المؤثرة . إنه يحس نحوها الآن بحنان حلو ومر في آن واحد .

همس وهو يداعب جبهتها :

- حسنا ... إنك سرعان ما ستنجحين .

www.rewity.com

ابتلعت "دانيال" كلماته كما تبتلع قطعة الإسفنج ماء المطر ولم تعد تحس بسنها التي تقترب من الأربعين ولا يخفيها ذلك . ولا بأن "ريمي" أصغر منها بكثير . إنه فقط لطيف ومليح جدا . رفعت رأسها بهدف أن تقطع تأثير السحر الذي لفها ولكن الكلمات ظلت محشورة في حلقها وهي ترى النظرة الصادقة والعاطفية التي استقرت عليها . لم يؤثر فيها أي رجل مثله في حياتها وهو مازاد فزعها خاصة عندما اعترفت بأن بعض الأحلام لا تتحقق .

قالت بصوت مشحون بالعاطفة :

- أعتقد أنه من الأفضل أن تضع "كاميل" في مهدها .

ابتعد "ريمي" عنها وهو يود لو استطاع أن يقول لها : إنها ساحرة وفاتنة وإنه مغرم بها .

قطعت ضجة كالرعد في الردهة أحلامه . مد رقبته وهو مقتنع أنها صادرة عن أحد الأطفال ، ولكن الظل الذي التصق خلف الباب كان طويلا .

قال متسائلا بعد أن حك أذنه :

- إنه "بتلر" .. أي نوع من الرجال هذا المخلوق ؟

كررت "دانيال" في صوت ساهم :

- "بتلر" ؟

- نعم إنه لم ..

قطعت كلمات "ريمي" بانفجار صدر من داخل البيت . قفز واقفا على قدميه وسارع نحو الباب . نهضت "دانيال" فتلقت ضربة من الأرجوحة في ركبتها أوشكت أن تفقدها توازنها . كان رد فعلها سريعا حيث احتضنت "كاميل" بقوة بين ذراعيها . ففزعت الطفلة واستيقظت ثم بدأت تصرخ بكل قوتها .

خرج الدخان من عقب باب المطبخ . وفتح الباب على سحابة خانقة وعاصفة وخرج من وسطها الصغير "اميرواز" وقد نكش شعره .

ظلت الطفلة تصرخ وهي بين ذراعي "دانيال" التي سارعت نحو

الشيطان الصغير .

- "اميرواز" ! "اميرواز" ! ماذا حدث ؟

- لقد أطلقت "چولي" مفاجأة : المكرونة بصاروخ . إنه عمل مسل للغاية .

استعدت "دانيال" لمواجهة أسوأ الامتحانات فدخلت المطبخ . كان "ريمي" واقفا وهو ممسك بمطفأة الحريق بالقرب من المائدة التي غطتها طبقة كثيفة من الرغوة الكيميائية وكانت كل الغرفة بجدرانها ودواليبها وأرضيتها وسقفها مغطى باللون الأبيض بينما انتشرت قطع المكرونة على شكل ديدان بيضاء .

كان الانفجار بالطبع راجعا إلى "چولي" التي بدت وكأنها خرجت لتوها من فيلم رعب . ووجهها مغطى بطبقة من المكرونة الصمغية يتخللها بعض قطع من عيش الغراب . كان الواضح من مظهرها أن كرامتها جرحت .

أما بالنسبة لـ"كاميل" فقد كفت عن الصراخ وأخذت تتأمل المشهد في استغراب وكأنها تتفرج على واجهة عرض تعرض هدايا الكريسماس .

وضع "ريمي" المطفأة أرضا قبل أن يتجه إلى مرتكبة الجريمة وصاح:

- يا إلهي ! يا لها من حظيرة حيوانات !

صاح "چيرمي" وهو ينزلق فوق مشمع الأرضية اللزج من طبقة مادة الإطفاء الكيميائية وكأنه فوق حلبة تزحلق على الجليد :

- يا لها من عبقرية !

اختارت "تانيا" هذه اللحظة بالذات لتظهر بوجهها المرعوب عند الباب وأن تصيح هادرة بصوت حاد :

- إنه شيء مثير للاشمئزاز .. إنني سأتقيأ .

بينما "ريمي" الثائر يوخز "چولي" بالمكنسة ظهر المدعو "بتلر" وأنفاسه متقطعة وهو يلهث وشعره كأنه خارج من معركة وخداه أرجوانيان أمام باب المطبخ . أقسم "ريمي" في نفسه أنه لابد أنه هبط

WWW.RIWAYA.COM

الدرج كل أربع درجات مرة واحدة ولكنه امتنع عن أي تعليق واكتفى بأن هز كتفيه ورفع حاجبيه عندما رأى بقعا سوداء على بنطلون بيجامته . صاح "بتلر" :

- يا إله السماوات والرحمات .. ماذا حدث إذن هنا ؟

ربط حزام الروب دي شامبر الذي يرتديه وجرب عبور المطبخ ثم تذكر فجأة أن يمسك ظهره بيده .

قال "ريمي" يطمئنه :

- لا شيء .. مجرد انفجار صغير .. يمكنك أن تعود لتنام .

فغرت "دانيال" فمها دهشة وعلى وجهها تعبير الرعب ، وقالت لـ"ريمي" :

- ماذا تقول .. انفجار بسيط ؟ هذا ليس بمنزل وإنما معسكر لتدريب الإرهابيين .

وقف "ريمي" وقد وضع يديه في وسطه يسيطر على "چولي" البدينة وهو يقول :

- لقد أوقعت نفسك في المحظور يا عزيزتي .. لقد أخبرتك أن تصعدي لتنامي منذ ساعة .

قالت تتحداه :

- إنك لن تستطيع أن تجبرني على طاعتك .

قال "ريمي" بحدة :

- أتريدين أن تراهني ؟

ركلته "چولي" في قصبة ساقه قبل أن يمسك بها . كتم كلمات السباب التي كان سيطلقها وأمسكها من وسطها وجعلها تدور حول نفسها ثم رفعها فوق كتفه وكأنها جوال بطاطس . حاولت أن تركله بقدميها ولكنه منعها من الحركة بأن أمسك بكعبها بيد وضربها على مؤخرتها بالأخرى .

قال بحدة وهو ينظر نظرات سوداء من الغضب وهو يمر من أمام "دانيال" :

سنصعد إلى أعلى حتى نناقش آخر تعليمات المتفجرات .

راقبه الجميع يخرج وهم صامتون وعيناه توشكان أن تخرجا من محجريهما وخداه شاحبان ملطخان بالبقع . بدا "چيرمي" مذهولا . بينما بدا "بتلر" ساهما يفكر و"كاميل" أخذت تغرد وكأنها تقول له : إلى اللقاء عندما أغلق الباب .

قالت "دانيال" بصو ت مشوب بالإعجاب :

- أعتقد أن "چولي" وجدت سيدها .

همس "چيرمي" :

- أتعتقدين أنه سيقتلها ؟ أتظنين أنه سيقطعها إلى قطع صغيرة ويقدمها غذاء للتماسيح ؟

قالت خالته مؤكدة :

- طبعا لا .. إن السيد "دوسيه" مربية نمونجية .

استقبل "بتلر" هذه الفكرة وهو يضحك ضحكة مكتومة حدّت من حماس "دانيال" . إنها تريد من "چولي" أن تتعقل ولكن دون شك لا تريد أن تتعذب . ألقت نظرة على الباب وكأنه أصبح فجأة باب الجحيم . أصاخت السمع ولكن الصمت ساد كل البيت . ثم ماذا تعرف هي عن "ريمي دوسيه" ؟

أخذت بانوراما المنظر تتكون في مخيلتها وهي تسير على أطراف أصابعها في هدوء فوق سجادة المكرونة المفروشة على أرضية المطبخ ، وقالت لهم بصوت رزين :

- سأذهب لأضع "كاميل" في مهدها .. إلى اللقاء .

بعد أن وسدت للطفلة مهدها توجهت أيضا على أطراف أصابعها نحو أشعة النور التي أفلتت من حجرة "چولي" . كانت الكلمات التي ينطقها "ريمي" بصوت هادئ كلمات حادة ومحددة وتزداد وضوحا كلما اقتربت . التصقت بالجدار وألقت نظرة من خلال فتحة الباب الموارب .

- كان من الممكن أن تصابي بجروح ، وكان من الممكن أن تجرحي

www.rewity.com

اخاك واخواتك . ماذا سيكون شعورك لو ان راس "اميرواز" انفجر ؟

قالت "چولي" بصوت هادئ كمواء القطة :

- لا اعرف .

كانت الفتاة نظيفة كالعملة الجديدة وشعرها الاحمر ممشطا خلف اذنيها وهي جالسة على حافة السرير وقد امسكت راسها المنحني لاسفل بين يديها وهي مرتدية قميص النوم بينما وقف "ريمي" ويداه في وسطه وبدت عليه الجدية .

اضافت الطفلة :

- كنت ساحس بالالم .

قال "ريمي" دون ان يرفع صوته :

- مجرد كلام ! إنه اخوك الصغير وهو يحبك . تذكري ذلك في المرة القادمة عندما تنوين ارتكاب عمل طائش .

قالت "چولي" والدموع في عينيها :

- نعم يا سيد "دوسيه" .

- وخالتك "دانيال" ! هل فكرت فيما يمكن ان تشعر به وهي ترى انك فجرت الطعام الذي تعبت في إعداده ؟

احتجت الفتاة :

- ولكنه كان يثير اشمئزازي .

- لا يهم .. ولا يهم إذا كان طعمه مثل طعم عصيدة الكلاب .. لقد جرحت شعورها ولابد ان تخجلي .

عضت "دانيال" على شفتيها وامتلأت عيناها بالدموع تعاطفا مع "چولي" وعطفا على نفسها وحنانا نحو "ريمي" : يا له من رجل لطيف ! يا له من رجل شاب لطيف !

رغم شهقات "چولي" فقد بدات دموعها تفيض ، جلس "ريمي" بالقرب منها وضمها إليه . لفت ذراعيها الصغيرتين حول عنقه الضخم واخذت تبكي من كل قلبها مدة دقيقتين . اخذ "ريمي" يهدهدها ويهمس في اذنها . اخيرا همس لها شيئا جعلها تنفجر ضاحكة وتبتعد عنه .

قرص انفها وغمز لها بعينه .

- هذه ساعة نومك . تصبحين على خير يا كرنبتي العزيزة !

سالته "چولي" :

- ما معنى هذا ؟

- الفتاة الصغيرة .

- حسنا .

اتجه "ريمي" نحو الباب وهو يضحك ولم يتح الوقت لـ"دانيال" للتراجع في الظل . تلاقت اعينهما جزءا من الثانية . كانت تعلن افكارها الجامحة وحاولت الهروب ولكنه امسكها في خطوتين .

قال في صوت حلو وهو يحصرها بينه وبين الجدار :

- إذن يا رئيستي ! هل تتجسسين علي ؟

تقلص حلق "دانيال" . كان واضعاً يده على الجدار ووجهه يقترب منها في خطورة . قالت :

- لقد بدا عليك الغضب الجامح .

- صدقيني يا عزيزتي : إنني كنت فعلا غاضبا ولكني هدات بنفس السرعة التي اشتعل بها غضبي .

اخذت "دانيال" تفتش في عقلها عن طريقة لتغيير الحديث :

- هل رايت المطبخ ؟ كيف سننظفه ؟

- إذا كنت فهمت جيدا .. اليس لديك خادمة منزلية ؟

- لا .. لقد هربت يوم رحيل "سوزانا" و"تشارلز" في الإجازة . لقد فضلت وظيفة مرشدة في "بيروت" .

- لا تقلقي ... ساهتم بذلك غدا .

قالت له وهي تبتسم ابتسامة عرفان واعتذار :

- شكرا .. لا شك انك عندما قبلت الوظيفة لم تتوقع الأولاد والمطبخ وإدارة المنزل .. إنه كثير عليك .

بدات عينا "ريمي" تعودان إلى مظهرهما الغامض .

همس في اذنها وهو يحصرها بجانب الجدار :

- اكثر من اللازم .. نعم اكثر من اللازم .

حاولت "دانيال" المقاومة ولكنها خسرت المعركة لقد فات الوقت كي ترفض "ريمي" مهما قال لها صوت العقل . كم هو رائع ان تكون مرغوبة وهي في هذه السن !

قال لها :

- لقد تبعتني لانك كنت تخشين ان اضر خبيرتنا الصغيرة في المفرقعات . اليس كذلك ؟ في رايي الشخصي انت تحبين هؤلاء الشياطين الصغار اكثر مما تعترفين به ، واراهن انك تحبينهم اكثر من نفسك .

قالت له وهي متضايقة :

- من الأفضل ان تعض لسانك قبل ان تتكلم .

تراجع "ريمي" نحو الدرج وهو يبتسم لها ابتسامة شيطانية !

- افضل الا اعض شيئا .

هددته :

- انت تستحق ان اطردك .. لا يمكن إصلاحك .

رد قبل ان يتجهم وجهه ويختفي في الدرج :

- ولكني اجيد اشياء كثيرة لا تستطيعين الاستغناء عنها .

الفصل السادس

استيقظت "دانيال" وقفزت في مكانها . كان قميص نومها مبللا بالعرق وكانت تجد صعوبة في التنفس . جلست في مكانها في السرير وحاولت ان تسترد سيطرتها على نفسها .

كانت الغرفة تسبح في ضوء فضي صادر من القمر الذي كان بدرا حيث تسللت اشعته من بين فتحات الستائر الواسعة بينما ساد الهدوء والصمت .

استغرقت دقيقة كاملة حتى افاقت من كابوسها وتفهم اين هي.

كانت تظن انها لازالت في الشقة التي استاجرتها في "لندن" حيث كانت تواجه الاتهامات الفظيعة من المراة التي كانت تعتبرها اعز صديقاتها .

مر اكثر من عام ، ولكن تلك الليلة المثلجة مع كلمات صديقتها البائرة كانت تعاودها باستمرار . كانت لاتزال تشم رائحة المادة الرغوية الكيميائية التي تسبح في جو غرفة التحميض السوداء ، وتكاد تحس بذلك الجو من التركيز المجنون الذي كان يلفها وهي تعمل ويمنعها عن

www.rewity.com مـرمـوزة

اية متعة خارجية . ثم ذلك السكون الرهيب الذي اخترقها كسهم في تلك الليلة واستقر في قلبها .

قفزت من فوق سريرها قفزة واحدة كالمجنونة ودون أن تعنى بارتداء الروب دي شامبر أو خفيها واندفعت خلال الدهليز بدافع الخوف . لم تسمع أي ضجة وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل والجميع نيام بمن فيهم "چيرمي" المشكوك فيه ؛ لانه من الممكن أن يتامر كالشيطان وهو يحلم .

أخذ قلب "دانيال" يدق بشدة في صدرها وجرت حتى باب حجرة الطفلة حيث وقفت امامه ثانية وهي ترتجف من الخوف ثم ادارت المفتاح ودخلت الحجرة .

كانت الحضانة تقع في نفس ناحية حجرتها وقد اضاءها نور القمر ايضا في جزء منها بينما لمعت الاثاثات في الظل .

كانت "كاميل" ممددة على بطنها في مهدها وخدها مستندا على الغطاء ، وعيناها مغلقتين بينما شكل فمها الصغير دائرة صغيرة.

نزلت "دانيال" على ركبتيها وامسكت بحافة المهد وكانها تمسك قضبان زنزانة السجن .

استعادت انفاسها وركزت بكل قوتها على ظهر الطفلة الذي كان يرتفع وينخفض على وتيرة منتظمة مع انفاسها .

بعد دقيقة اطمانت ثم اطلقت زفرة ارتياح عميقة ، ثم جلست على مقعد هزاز ذي مساند بالقرب من المهد ولكن الرعشات تملكتها وحولت جسدها إلى امواج من الحركة مما اضطرها لأن تضع قدميها تحت ساقيها وتجلس القرفصاء حتى تستطيع السيطرة على نفسها .

حمداً لله .. فإن "كاميل" بخير وكل شيء بخير ولا شيء خطير حدث اثناء اللحظات التي استغرقتها في النوم . إنها ليست موجودة في "كنز نجتون" والطفلة ليست طفلة "آن فيلدنج" . بدأ ثقل يزحف شيئا فشيئا على اعضائها بينما توقفت الرعشات . ظلت ساكنة وهي تتامل ابنة اختها .

راقبها "ريمي" من على عتبة الحجرة وقد أسند كتفه على إطار الباب. كان الضوء الذي يسقط على وجه "دانيال" يكشف شكلا من المعاناة لم يسبق أن عرف لها مثيلا . إنها تحس بانها بلا سند وبائسة .

همس بصوت حنون :

- "دانيال" !

استطاعت أن تخرج من قلب الجحيم الذي كانت فيه وأن تلقي نظرة على الباب حيث يقف "ريمي" وكان ظهوره كان سحرا خرج من ضوء القمر .

كان مرتديا قميصه الأبيض شبه المفتوح كي يظهر قوة صدره وعضلاته المفتولة وكان نحاتا نحتها من الصخر . كان يشع رجولة طبيعية ومتكبرة وكان حافي القدمين مرتديا الچينز الضيق الذي أبرز عضلات ساقيه ووسطه النحيف .

كرر اسمها عندما ادارت نظرها :

- "دانيال" ماذا تفعلين هنا ؟

همست :

- إنني احرس الطفلة .

قال "ريمي" الذي جاء وركع على ركبتيه بجوارها :

- إنها نائمة .

- أوه ...

- ويجب أن تنامي انت ايضا .

- وانت ! ماذا تفعل هنا ؟

رد دون أن ينظر إليها :

- هذا عملي !

مهما اختلقت من اعذار فإن من الواضح أن شعرها في فوضى ووجهها شاحب متجهم وقد ظهرت عليها بعض التجاعيد من التوتر العصبي حول فمها وخط كبير يدل على القلق بين حاجبيها . ومع ذلك فإن أيا من هذه العلامات لم تمح جمالها .

ود "ريمي" لو لمسها وجذبها إلى الأرض ولكنه تراجع . هناك شيء ما غير مضبوط ولا يجب أن يساعدها قبل أن يعرف ما هو الخطأ .

نهض ومد لهايده ، ولكنها اكتفت بأن القت عليه نظرة ساهمة قبل أن تعود لاهتمامها بالطفلة . قالت :

- سابقى هنا ويمكنك أن تعود لتنام .

قال وهو يقلد لهجتها ونبرة صوتها :

- شكرا ، ولكن سابقى هنا أيضا .

أومأ برأسه إلى الأريكة التي تقع تحت النافذة وقال :

- تعالي اجلسي بجواري .. تعالي قصي على "ريمي" : ماذا تفعلين هنا وسط الليل بدلا من أن تنامي كما تنام كل سيدة منزل مميزة تحترم نفسها .

كانت "دانيال" التي لا تريد أن تكشف بأي ثمن عن أسباب وجودها في حجرة "كاميل" ولكنها خشيت أن تثير فضوله إذا ما سكتت ؛ لذا نهضت رغما عنها ثم جلست على المقعد ذي المساند بدلا من الأريكة وهي منتصبة على جانبه وعيناها لا تبتعدان عن المهد .

جلس "ريمي" على مسند المقعد وقدمه مثبتة على الأرض وساقه اليسرى مثنية تحته .

أحست "دانيال" بأن نظراته ثقيلة عليها .

قالت معترفة :

- لقد حلمت بكابوس !

لم تكن هذه كل الحقيقة . سألها :

- بشأن "كاميل" ؟

- لقد أحسست أنني سأتحسن لو جئت وجلست بجوار سريرها.

ساد الصمت بينهما عدة دقائق . واستمرت "دانيال" في مراقبة الطفلة وهي تتساءل : ماذا يظن بها "ريمي" ؟ هل سيتقبل تفسيرها أم سيحفر أعمق ؟

تخبطت بين رغبتها في أن تعترف له بالحقيقة والرغبة في

السكوت!! يبدو عليه مظهر التفاهم وحسن الإدراك . ولكن هل سيقدر على فهم ما حدث في تلك الليلة في "لندن" ؟ من يمكن أن يسامحها وهي غير قادرة على أن تسامح نفسها ؟

إن الخلاص الوقتي الذي ستحصل عليه إذا ما اعترفت له لن يرفع عنها الثقل الذي يحط على ضميرها .

أخذ "ريمي" يراقبها في تفكير . هذه المرأة لغز . إنها غنية ، ولكن ليست لديها الأهواء والنزوات التي تصاحب الثروة والجاه .

إنها مستقلة ولكنها وحيدة وحزينة وهو يحس ذلك جيدا . إنها واثقة بنفسها ولكنها مرعوبة من الأشياء البسيطة مثل المطبخ والأطفال.

ومن يسمعها يعتقد انها تفضل أن تعاني الذهاب إلى طبيب الأسنان بدلا من أن ترعى ابناء أختها . ومع ذلك تسهر على نوم "كاميل" وكأنها ملاكها الحارس .

سألها أخيرا :

- لماذا لم يكن لك طفل ؟

فزعت "دانيال" . عادة ما ترد على هذا السؤال المحرج بالقول: إنه "ليس من شأنك" ، ولكن في هذا الظرف فمن المنطق أن يسأل هذا السؤال .

- إنني من النساء التقليديات اللاتي يؤمن بأن الزواج يأتي أولا ثم الأطفال .

- إذن لماذا لم تتزوجي ؟

- الرجال الذين طلبوا يدي لم يكونوا من الأخيار وإنما من الأشرار لكن لم يطلب يدي أبدا رجلاً طيبا .

قال "ريمي" في ملل :

- ومن يكون هذا الطيب ؟ هل له اسم ؟

أحست "دانيال" بالتسلية وأدارت انتباهها مرة ثانية نحو الطفلة ثم ذهبت لتستقر في راحة فوق الأريكة .

قالت :

- لا .. هل نسيت أنني من عائلة "هاميلتون" . أي رجل طيب سرعان ما يغير رأيه عندما يكتشف حقيقة عائلتي .

- لا تقولي لي : إنك تؤمنين بهذه اللعنة !

- لا .. هذا شيء آخر . أنا من النوع الذي تصعب الحياة معه . ولابد أنني ورثت والدي في هذا المجال . لقد تعودت أن أفشل مع الرجال . وأتصور أن ذلك يرجع إلى أنني فنانة . نادرا أن أجد رجلا يمكن أن يعيش في ظل نزواتي .

مال "ريمي" للأمام ووميض خاو في عينيه السوداوين ، ورفع خصلة من شعر "دانيال" من فوق جبهتها وثبتها وراء أذنها ثم أجبرها على أن ترفع عينيها إليه .

قال بصوت دافئ ومبطوط ومليء بالتلميحات :

- ربما لم تقابلي الرجل الذي يستطيع أن ينثر نزواتك في الهواء .

أحست "دانيال" برجفة رهيبة تسري في جسدها وتستقر في معدتها وتحرق صدرها . ولكنها استطاعت أن تحدجه بنظرة قاسية وترد عليه:

- من يقترب من النار تلسعه !

رد "ريمي" :

- لقد قلت لي بما فيه الكفاية وهذا التحدي لا يعجبني .

- لسوء الحظ لم تبلغ السن المطلوبة .

عبس وجه "ريمي" :

- إن مشكلة السن هذه تضايقك حقا . أليس كذلك ؟

ألا يقترب عيد ميلادك ؟

- إن سني أربعة يمينها صفر إذا كنت تريد أن تعرف .. ها قد قلت لك ويمكنك من الآن فصاعدا أن تكرر محاولتك وتتصرف كالأهبل عندما تحاول أن تغازل امرأة كبيرة في السن تصلح أن تكون ..

- سيدتي !

خرجت الكلمة من فم "ريمي" رقيقة كالنسيم الحارق المتحدي الملفوف بالقطيفة الناعمة .

قال مكملا :

- هكذا إذن الأمر يا عزيزتي : أنت أكبر مني ببضع سنوات فما المشكلة ؟ إن ما بيننا لا صلة له بالعمر .

ردت عليه بجفاء بينما رأسها يدور :

- أنت تقول ذلك : لأنك لم تر الجانب الآخر من شخصيتي .

قال باسما : حقيقة لا أرى سببا لقلقك . لم تبلغي بعد السن التي تسمح بانضمامك إلى نادي العجائز .

لم يكن مخطئا . إن ما يضايقها في الحقيقة هو وصولها إلى هذا الرقم من السن دون أن تنجز شيئا ذا قيمة . هل حققت نجاحا شخصيا ؟ إن الفن من أجل الفن هو الذي يهمها وليس المجد والشهرة. ثراؤها ؟ لقد ولدت وفي فمها ملعقة من الذهب .

تساءلت وهي تتأمل "كاميل" : إن كانت ستقدر من الآن فصاعدا. إن النجاح في الحياة لا يقاس بعدد الأطفال . إنها لم تنجب ولن تنجب أبدا . عندها فنها ولكن لن يبكي عليها إذا ماتت.

همس "ريمي" :

- أنت جميلة !

ردت بلهجة باترة لتضع الجمل في مكانها :

- وأنت "المربية" .

لسوء الحظ هذا الاسكتلندي الوقح لا يعرف الإهانة ، واستمر يعاكسها . باللمعان الذي في نظراته المتمردة ! سألته :

- وأنت ؟ كيف حدث أن جماعة من صغار "آل دوسيه" لم تتبعك؟

أخذ "ريمي" يفكر . في أعماقه كان يريد أن يكوّن أسرة ولا يزال متمسكا بذلك . ورغم أنه مستمتع بحياته كأعزب فإنه يشعر بأنه مشدود إلى الاستقرار والعاطفة والراحة التي يمكن أن يوفرها الزواج. لو قرر الزواج فلن يكون أمامه سوى مشكلة الاختيار فحسب ، فهناك

قالت :

- لا .. هل نسيت انني من عائلة "هاميلتون" . اي رجل طيب سرعان ما يغير رايه عندما يكتشف حقيقة عائلتي .

- لا تقولي لي : إنك تؤمنين بهذه اللعنة !

- لا .. هذا شيء آخر . انا من النوع الذي تصعب الحياة معه . ولابد انني ورثت والدي في هذا المجال . لقد تعودت ان افشل مع الرجال . واتصور ان ذلك يرجع إلى انني فنانة . نادرا ان اجد رجلا يمكن ان يعيش في ظل نزواتي .

مال "ريمي" للأمام ووميض خاو في عينيه السوداوين ، ورفع خصلة من شعر "دانيال" من فوق جبهتها وثبتها وراء اذنها ثم اجبرها على ان ترفع عينيها إليه .

قال بصوت دافئ وممطوط ومليء بالتلميحات :

- ربما لم تقابلي الرجل الذي يستطيع ان ينثر نزواتك في الهواء .

احست "دانيال" برجفة رهيبة تسري في جسدها وتستقر في معدتها وتحرق صدرها . ولكنها استطاعت ان تحدجه بنظرة قاسية وترد عليه:

- من يقترب من النار تلسعه !

رد "ريمي" :

- لقد قلت لي بما فيه الكفاية وهذا التحدي لا يعجبني .

- لسوء الحظ لم تبلغ السن المطلوبة .

عبس وجه "ريمي" :

- إن مشكلة السن هذه تضايقك حقا . اليس كذلك ؟

الا يقترب عيد ميلادك ؟

- إن سني اربعة يمينها صفر إذا كنت تريد ان تعرف .. ها قد قلت لك ويمكنك من الآن فصاعدا ان تكرر محاولتك وتتصرف كالاهبل عندما تحاول ان تغازل امراة كبيرة في السن تصلح ان تكون ..

- سيدتي !

خرجت الكلمة من فم "ريمي" رقيقة كالنسيم الحارق المتحدي الملفوف بالقطيفة الناعمة .

قال مكملا :

- هكذا إذن الأمر يا عزيزتي : انت اكبر مني ببضع سنوات فما المشكلة ؟ إن ما بيننا لا صلة له بالعمر .

ردت عليه بجفاء بينما راسها يدور :

- انت تقول ذلك ؛ لانك لم تر الجانب الآخر من شخصيتي .

قال باسما : حقيقة لا ارى سببا لقلقك . لم تبلغي بعد السن التي تسمح بانضمامك إلى نادي العجائز .

لم يكن مخطئا . إن ما يضايقها في الحقيقة هو وصولها إلى هذا الرقم من السن دون ان تنجز شيئا ذا قيمة . هل حققت نجاحا شخصيا ؟ إن الفن من اجل الفن هو الذي يهمها وليس المجد والشهرة. ثراؤها ؟ لقد ولدت وفي فمها ملعقة من الذهب .

تساءلت وهي تتامل "كاميل" : إن كانت ستقدر من الآن فصاعدا. إن النجاح في الحياة لا يقاس بعدد الأطفال . إنها لم تنجب ولن تنجب ابدا . عندها فنها ولكن لن يبكي عليها إذا ماتت.

همس "ريمي" :

- انت جميلة !

ردت بلهجة باترة لتضع الجمل في مكانها :

- وانت "المربية" .

لسوء الحظ هذا الاسكتلندي الوقح لا يعرف الإهانة . واستمر يعاكسها . باللمعان الذي في نظراته المتمردة ! سالته :

- وانت ؟ كيف حدث ان جماعة من صغار "آل" "دوسيه" لم تتبعك؟

اخذ "ريمي" يفكر . في اعماقه كان يريد ان يكوّن اسرة ولا يزال متمسكا بذلك . ورغم انه مستمتع بحياته كاعزب فإنه يشعر بانه مشدود إلى الاستقرار والعاطفة والراحة التي يمكن ان يوفرها الزواج. لو قرر الزواج فلن يكون امامه سوى مشكلة الاختيار فحسب . فهناك

جمهور من الفتيات الصغيرات الحسناوات في انتظار إشارة من أصبعه خاصة "ماري بروسارد" والتي منذ وقت طويل أفهمته انها في انتظار طلبه لتقفز بين ذراعيه . و"ماري" فتاة ساحرة - من أصل اسكتلندي - قيّمة ولديها كل ما يجعلها تصلح زوجة مثالية .

كلهن صالحات للزواج إلا أن هناك سببا واحدا يمنعه وهو انه لا يحبهن . إنهن يشعرنه بالسرور ولكن الأمر لا يتجاوز ذلك وهو عاطفي جدا بحيث لا يكتفي بذلك .

- هل تأملين أن تعالجي نفسك من هذا الموقف ؟

لم يتلق الرد الذي يتوقعه وإنما تلقى نظرة جوفاء . قالت بعد ذلك وهي تتحول عنه :

- أنا آخر شخص يمكن أن توجه إليه هذا السؤال .

لا اللعنة الشهيرة ولا قرب احتفالها بعيد ميلادها الأربعين يمكن أن يفسرا مسلكها . لابد قطعا أن يكتشف لماذا هي تتخبط وسط الظلام ؟

قالت :

- أولا لقد رأيت عرضا لمهارتي مع الأطفال ولن أغامر بأن أرشح نفسي الأم المثالية لهذا العام .

رفض "ريمي" أن يصدقها . ربما لا يريد أن يقتنع أنها لا تصلح أما . وربما لأنه تأثر من الحزن الذي في صوتها . أيا كانت دوافعه فإنه يصدق غريزته مهما كانت مقاومتها .

قالت له :

- أرجوك يا سيد "دوسيه" .

- صه ! فإنك ستوقظين الطفلة .

- ولكن ماذا يمكن أن تجنيه من ذلك ؟

- لا شيء .. فقط دعي الأمور تجري في مجراها الطبيعي . واعتمدي على العم "ريمي" وبوحي له بأفكارك السوداء التي تطارد عينيك الجميلتين .

كانت "دانيال" تظن نفسها ممثلة بارعة تستطيع أن تخفي قلقها

وحزنها . ولكنه مارس عليها سحره الذي لا يقاوم فجردها من كل أسلحة المقاومة .

أخذ جسدها يسترخي شيئا فشيئا . بدأت تحس أنها أفضل بالقرب منه .. من ذلك الرجل القوي مفتول العضلات والذي يشع رجولة . كانت متعبة لدرجة لا تستطيع معها المقاومة فاسندت رأسها على كتفه وأحست بالأمان وزفرت زفرة ارتياح .

أخذ يغني أغنية شعبية اسكتلندية . كان صوته حلوا رخيما ومريحا كالنسيم العليل . أغلقت "دانيال" عينيها في نشوة وسألته بصوت نعسان :

- ماذا تقول كلمات أغنيتك ؟

كانت تظن أنها كلمات حب ولكنه قال :

- إنها تقول : لا يجب أن تعمل كثيرا وإنما تطير !!

- يا له من لحن غريب !

قال مكملا معنى بقية الأغنية :

- اسالني كم أحبك يا جميلتي .

كان يضع يده على قلبه دليلا على سرعة ضرباته .

وتساءل : إن كانت "دانيال" تراه أو تحس به ؟ ولكنها نامت بين ذراعيه .

إن هذه السيدة من الطبقة الراقية لم تخلق أبدا من أجله . إنها تتسكع في العالم كله وقلبها يرفض أن يشبع وتحس عطشا شديدا أن تكتشف أشياء لا تفهمها . إنها واثقة بنفسها كطفلة وجميلة كالملاك .

أطلق "ريمي" زفرة طويلة . إنها لم تخلق له ولكنه يحس بالروعة معها . ومعاملتها في الظاهر تدل على أنه لا يرغبها .

أضاءت ابتسامة ساخرة وجهه وهو يضع قبلة على شعر "دانيال".

الفصل السابع

أيقظ ثقل كبير "دانيال" من النوم لقد انهار السرير العتيق المصنوع من خشب البلوط على أرجله الأربع . ظنت أن زلزالا حدث أدى إلى سقوط سقف الحجرة عليها فلم تتحرك من مكانها قيد أنملة فضلا عن تعودها الاستيقاظ في وقت متأخر من النهار فقررت أن تعود إلى النوم إلى أن تأتي فرقة الإنقاذ لإخراجها من بين الأنقاض .

ولكن السرير عاد مرة أخرى إلى الاهتزاز والثقل الذي كان يسحق ساقيها ثم انتقل إلى رأسها ورأت لسانا ضخما يلعق خدها . وسمعت :

- انهضي يا خالة "دانيال" .

من بين جفونها شبه المغلقة رأت "أميرواز" واقفا بالقرب من سريرها مرتديا بيجامة مكرمشة وقد وضع على أنفه قناعا لوحش قبيح بينما أمسك بكلبه المصنوع من القماش تحت ذراعه :

- هل تحبين أن يقتلك "شو" الصغير مرة أخرى ؟

أدارت "دانيال" رأسها لتجد نفسها وجها لوجه مع كلب المراعي

الضخم جاثما على الوسادة على الجانب الآخر وأخذ دون - إلحاح من أحد - يلعق وجهها . صاحت وهي تخفي وجهها تحت الوسادة :

- اللعنة ! إنه ليس كلبك يا "أميرواز" !

- بل هو كلبي يا خالة "دانيال" .

- ولكن لا .. إن كلبك لونه أسود وأتذكر ذلك تماما .

انفجر الولد الصغير ضاحكا وكأنما نطقت بكلام ساذج ثم أمسك بيدها ليساعدها على النهوض ، أخذت "دانيال" تدور حول الحجرة وهي لا تذكر كيف عادت إلى حجرتها . بعد تلك الأغنية الشعبية الاسكتلندية التي غناها "ريمي" لم تعد تذكر شيئا ربما حملها إلى سريرها وهي نائمة . كانت مجرد هذه الفكرة كافية لأن تجعلها تذوب خجلا .. إن هذا الرجل جذاب جدا وصغير في السن جدا .

ظلت ساكنة في مكانها تائهة في أفكارها ولم يضع "أميرواز" وقته حيث اختار بنفسه الحذاء من دولاب ملابس أمه وبعض القطع المناسبة وقدمها إلى "دانيال" التي ارتدتها فوق قميص النوم دون أن تلقي عليها نظرة . كانت قد استغرقت في حالة مريبة من الغبطة والسعادة وعندما انتهت من ارتداء ملابسها أمسك ابن أختها بيدها وسحبها نحو الدهليز ومنه إلى المطبخ . كانت تتبعه كالعمياء وهي تردد كالببغاء .

قهوة .. قهوة .

كان "ريمي" في المطبخ و"كاميل" معلقة تحت ذراعه اليسرى ورضاعة في اليد اليمنى وفي نفس الوقت كان يراقب نضج البيض المسلوق . أدار رأسه عندما فتح الباب على "أميرواز" تتبعه خالته . أوشك أن يختنق من منظر "دانيال" .

كانت ترتدي قميص نوم شفاف من الحرير الأسود غير مقفول بإحكام أظهر أكبر جزء من ساقيها الملفوفتين العاريتين وكان مظهرها يوحي بأنها خرجت لتوها من معركة غير متكافئة .

كانت شبه فاقدة الوعي وهي تعبر الحجرة وهي لازالت تردد :

- "القهوة .. القهوة !

" فوضع "ريمي" الرضّاعة على المائدة وناولها الإناء الذي كانت تريده. أحاطت الشابة الكوب الفخار بكلتا يديها ورفعته إلى فمها وكانه يحتوي على أكسير الحياة . أحرق السائل القوي حلقها بينما وصل الكافيين في الحال إلى مخها وأحيا كل خلاياه . فتحت عينيها على اتساعهما وأخذت تتامل القهوة في الكوب والتي كانت أشد سوادا من غراب البين .

قالت من بين أنفاسها :

- إنها قوية بعض الشيء .

- هل أفادتك ؟

وضع "ريمي" الطفلة على الأرض محشورة ما بين الجدار والمائدة . قال بإلحاح :

- إنها قهوة حقيقية .. هل أعجبتك ؟

- لنقل إن ... إن يدك كانت كريمة .

قال ملحا :

- إنها لم تنفع كي تسرك .

تلقى فقط همهمة إجابة على كلامه . واصل الحديث بصوت كالقطيفة :

- يا لهذا الجسم الرائع يا عزيزتي .. حاولي أن تقولي شيئا .

خفضت "دانيال" رأسها وفتحت فمها فجاة على آخره وصاحت:

- إنني أحلم !

رد "ريمي" بدوره :

- وأنا كذلك إذن !

تدخل "أميرواز" :

- ألا ترى أن الخالة "دانيال" جميلة ؟ أنا الذي اخترت لها ملابسها .

ابتسم "ريمي" له ابتسامة ماكرة :

- أنت رجل بالنسبة لي يا ولدي .. إن اختيارك رائع .

ابتهج "أميرواز" وقال :

- هل تظن ذلك حقا ؟

صاح "ريمي" :

- وكيف لا .. إنه أكثر من رائع وفخم !!

ابتعدت "دانيال" عن "ريمي" في حرص . كان مرتديا "چينزا" ضيقا يظهر كل تقاسيم جسده وهو ملتصق بساقيه . تساءلت كيف يبدو جذابا إلى هذه الدرجة وفي هذا الوقت من الصباح ؟

سألها :

- هل يضايقك لو رفعت هذه اللعبة حتى لا يتعثر فيها أحد ؟

بدأت تنفذ طلبه ولكنها رأت أن ملابسها ستنحسر عن جسمها فقالت :

- أنت ماكر يا سيد "دوسيه" !

قال وهو يوجه إليها ابتسامة ساحرة :

- أرجو ألا تغضبي مني لأنني حاولت ....

لا إنها لا تستطيع بل بالعكس . إنها غاضبة من نفسها لأنها ترغب في المحاولة . كيف ستتمكن من تحمل الحياة خلال الأسبوعين والنصف القادمين ؟

بينما كانت ترتدي ثوبا من طراز "برمودا" بلون أزرق سماوي وقميصا أبيض برقبة عالية تساءلت عن : أي نوع من الأشياء يمكن أن تستعملها لتشتت انتباه "ريمي" بعيدا عنها ؟ التقطت الوشاح وهي ساهمة وكان من الحرير متعدد الألوان ووضعت خدها على القماش الناعم لحظات ثم استخدمته لربط شعرها على شكل ذيل حصان .

ستدفع "سوزانا" ثمن كل ما حدث لها ! ولكن يمكن لانتقامها أن ينتظر . يجب .. أن تعمل .. تعمل ! إنه الحل الأمثل . إن آلة التصوير المعلقة حول رأسها يمكن أن تصلح كوسيلة للدفاع ضد الإغراء الذي يمثله شباب صغار مليئون بالرجولة مثل "ريمي" ، وتمنعهم من الاقتراب منها والشباب الذين هم أصغر منها والذين يغنون لها أغاني

الغرام بصوتهم المخملي المرح مما يجعلها تفقد عقلها ويتصرفون معها كالقراصنة .

كانت ساقاها غير متماسكتين وهي تجري حتى حجرة التحميض الفوتوغرافية حيث كان "تشارلز بوفييه" يظهر بنفسه صوره وأوشكت أن تركع على ركبتيها فوق الأرضية في الحجرة التي تعشقها والتي وضعت فيها كل أدواتها .

إنه عملها المحبب إلى قلبها . إنها ستعد تقريرا صحفيا مصورا عن "نيو أورليانز" ، عن الأحياء ، عن العمارة في "نيو أورليانز" .. لا بل عن شيء أكثر تحديدا .. عن أبواب "نيو أورليانز" وعن المربع القديم وعن مقاطعة "جاردن" وشارع "يوريون" وعن شارع "ماجازين" وغير ذلك .

أطلقت زفرة ارتياح والقت الحقيبة التي تحتوي على أجهزتها الفوتوغرافية فوق كتفها وعادت إلى المطبخ .

كان "ريمي" جالسا في هدوء أمام المائدة وأمامه قدح آخر من قهوته القاتلة وهو يقرأ الصحيفة . لم يجد أي ولد على مرمى البصر ولم يقطع السكون سوى لحن من "أكورديون" مذاع من الراديو الموضوع على المنضدة . أخذ يفحص الزي الجديد لـ"دانيال" بدقة وقد عقد حاجبيه في تقطيبة واضحة .

سالته :

- أين الأولاد ؟

- خرجوا للسباحة عدا الطفلة فهي نائمة .

تاوهت "دانيال" في صمت .. لقد خرج كل الأولاد لقد تركوا ارض المعركة وتركوها وحيدة مع ذلك الاسكتلندي ... إن أولاد أختها الشياطين تركوها تسقط في اللحظة التي هي في حاجة ماسة إليهم ، شملت الحجرة بنظرة متانية محاولة تجنب عيني "ريمي" .

- كيف استطعت القيام بتنظيف آثار الحريق بهذه السرعة ؟

كانت في حالتها السابقة لم تلحظ قبل الآن انه لم تعد هناك أية آثار للكارثة التي ارتكبتها "چولي" ولم تعد ترى أي قطعة ولو صغيرة من

المكرونة معلقة في أي مكان .

قال لها :

- لقد قلت للأطفال إنني لن أسمح لهم بالذهاب للسباحة مع أصدقائهم ما لم يساعدوني .

- إنه ابتزاز إذن .. لماذا لم أفكر في هذا من قبل ؟

صبت لنفسها بعض القهوة وخففتها بالماء ثم انزلقت جالسة فوق مقعد على الطرف الآخر من المائدة بعيدا عنه ، سالته :

- هل لهم أصدقاء حقا ؟

- لقد رأيتهم بعيني . من الصعب أن تصدقي ذلك ولكنها الحقيقة .

- أوه لقد تصورت في لحظات أنهم قتلة للبشر .

وضع "ريمي" صحيفته جانبا ثم ثبت كوعيه فوق المائدة وأخذ يفحصها بعينيه :

- إنهم ليسوا مختلفين كثيرا عن باقي الأطفال . إنهم فقط في حاجة إلى النظام .

قالت "دانيال" وهي تحاول أن تبدو في صورة الرئيس الذي يهنئ موظفه :

- أنت تعرف تماما كيف تتعامل معهم . كيف استطعت أن تختار هذه المهنة ؟

لم يحس "ريمي" بالارتياح وهو محول نظره . إنها لن تسعد لو علمت أنه حصل على هذه الوظيفة كنوع من التحدي ولكن من ناحية أخرى لم تكن لديه رغبة في أن يكذب عليها . مرة أخرى أسرع ملاكه الحارس لإنقاذه وهو يقول له في أذنه :

- لست مضطرا لأن تكذب علي وإنما يكفي أن تقول لي الحقيقة.

قال :

- في الحقيقة . إن أطفال "دوسيه" ينتشرون هناك في منطقة "بايو" . إنني اعتني بابناء وبنات إخوتي منذ سنوات حتى أصبحت أعمال الحضارة موضة في العائلة . إن أختي "جيزيل" لديها وكالة لجليسات

الأطفال مشهورة جدا في "نيو أورليانز" ثم إنني أعتبر هذا العمل نوعا من المتعة والتسلية والتدريب ايضا على معاملة ابنائي ورعايتهم في المستقبل . ألا تفكرين في ذلك ايضا ؟

تململت "دانيال" فوق مقعدها .

- انا ؟ وماذا افعل بالأطفال ؟

اجاب ببساطة :

- إنك ستحبينهم .

تجنبت نظراته العميقة والتقطت كسرة خبز من فوق المائدة واخذت تلعب بها .. تساءلت : تحبهم ؟ هل تجهل أن الحب لا يكفي ؟ قررت "دانيال" أن تلجأ إلى المزاح حتى لا تسقط في الحزن عندما تفكر في هذا الموضوع .

سألته :

- كيف يمكنني أن أحصل على أطفال ؟ يلزمني شقة واسعة . ودعك من الحديث عن رجل طبعاً .

اضاءت عينا "ريمي" وقال :

- هل تبحثين عن متطوع .؟ هيا ارتدي ملابسك الأخرى وعودي إلى شخصيتك الحقيقية وبعدها نستطيع أن نناقش الموضوع .

ردت بلهجة لاذعة :

- لا أعتقد أن تلك الشخصية تصلح للمناقشة .

رد عليها بابتسامة العالم ببواطن الأمور :

- لا .. بالعكس أنا متأكد انها ستدفعك للعمل .

حاولت "دانيال" أن تحول الموضوع لناحية اقل حساسية وخطورة فرسمت ابتسامة محترفة :

- إنني اقضي وقتي في الترحال وعملي غير متوافق مع الحياة العائلية المستقرة .

- لدي شعور خاص بأن هذه الحياة التي تعيشينها لا تقود إلا إلى الوحدة .

ادهشتها دقة ملاحظته وأذهلتها . لم تكن "دانيال" تتوقع أن تعيش في وحدة ولا تتمنى ذلك . لقد كان لها أصدقاء وزملاء في كل أنحاء العالم ولكنها انتهت من الحياة مدة عام طبقا لملاحظة "ريمي" حياة في وحدة كاملة في "التبت" وحدة تجاوزت العزلة الجغرافية . إنها تشعر بالعصبية من نظرته الثاقبة ولكنها لن تظهر له ذلك .

قالت مؤكدة :

- انا أعشق حياتي ولا أتحمل أن أظل محصورة في ركن مدة طويلة . إنني أحب السفر والترحال لدرجة العبادة وأن أرى العالم وأقابل الناس .

- أفترض إذن : أنك ستغادرين "نيو أورليانز" عندما تعود السيدة "بوفيه" .

قالت وهي تنهض :

- طبعا .. لا شيء يربطني هنا .

قبل أن تدرك ماذا حدث لها وجدت نفسها بين ذراعي "ريمي" غارقة في سحر صدره الحنون وقد علت وجهه البرونزي ابتسامة باتساع فمه . كابتسامة قرصان سرق كل مقاومتها . قال بعد أن تعثرت واوشكت أن تقع لولا أن سندها :

- هانا أمسك بك ؛ واسندك يا عزيزتي ..

هل كنت تريدين أن ترقصي ؟

تلعثمت :

- أنت مجنون .

ولكنها احست بانها تذوب وإرادتها تتبعثر حاولت أن تضربه وتدفعه بكفيها في صدره ولكنها ازدادت التصاقا به .

قالت أخيرا :

- لولا انني كنت في حاجة ماسة لخدماتك لراجعت أوراقك . لقد كنت في حالة يأس .

- في حالة يأس ؟ تحتاجينني .. إن هذا يسعدني دون شك .

– لقد كسرت جانبي .. هل هذا يعجبك ؟ إذا لم تتركني سالكمك.

ردا عليها : انتصب "ريمي" واقفا فجاة واخذ يراقصها على انغام الروك السريعة فجاة حتى إنها اصطدمت بشدة بجسده الصخري.

سالها :

– هل ستلكمينني لانني اعطيك درسا في الرقص ؟

– درس في الرقص ؟ يا لوقاحتك !

اضطربت دقات قلب "دانيال" . بين الارتفاع والانخفاض في صدرها بينما هو كذلك حاول أن يسترد انفاسه ، لقد كان من السهل عليها أن تقسم وهي بعيدة عنه : الا تقترب منه ابدا ولكن تنفيذ القرار عمليا يتطلب منها جهدا فوق طاقة البشر .

اخذ الراديو يذيع – الآن – لحنا هادئا من نوع "السلو" وبدا جسم "ريمي" يتبع هذا اللحن الراقص بطريقة آلية حيث كان الرقص طبيعيا بالنسبة له كالمشي .

قال مقترحا :

– مارأيك أن نرقص الليلة في الخارج ؟

– سالته بصوت لاهث وهي حبيسة ذراعيه :

– والاطفال ؟

– سنحضر جليسة أطفال .

تعمدت "دانيال" في هذه اللحظة أن تدوس قدمه ، لذا عبس وجه "ريمي" وانحنى امامها :

– اراك متخبشة يا عزيزتي .. لماذا لا تسترخين يا ملاكي . نحن في "نيو اورليانز" بلد الحياة البهيجة وفيها الناس لا يكادون يكفون عن الرقص ببراعة .

قالت له مهددة :

– هل تود الاحتفاظ بسلامة قدميك ؟

لمعت عينا "ريمي" في مكر وهو يراقصها ويضع خده على خدها .

رد عليها :

– نعم عندما أحتاجهما للمشي ولكن لو اصبتني إصابة بالغة فساضطر إلى قضاء وقتي في السرير .

كزت على اسنانها وقالت له :

– وعندها ستحس بانك وحيد للغاية .

قالت "دانيال" في نفسها : يالغرابة الانجذاب بين الرجل والمراة !

لقد نسيت كل المشاكل التي تعانيها حول سنها وافكارها حول الرزانة والحرص ، ونسيت انها لم تحظ بفرص كبيرة مع الرجال بل إنها قررت التخلي عن تلك العلاقة .

أخذت ترتجف وهي تطلق زفرة هزيمة عندما قال لها :

– أوه يا "دانيال" دعيني أحبك !

في هذه اللحظة صاح صوت من فتحة الباب :

– صباح الخير للجميع .

تلعثم "ريمي" وهو يدفع "دانيال" بعيدا عنه :

– "بتلر" ! ماذا تفعل هنا ؟

قال "بتلر" :

– لقد وجدت انه من المفيد أن اتمشى قليلا .

قال "ريمي" :

– هذا هو الأمر إذن . لابد انك تحتاج إلى نزهة طويلة في الخارج .. ارجو أن تستدعينا عندما تصل إلى قلعة "بانون روج" وسناتي لإحضارك .

لم يهتم "بتلر" بهذا التعليق العدواني وإنما بدت عليه نظرة رضا عن النفس .

قالت "دانيال" التي اقتربت من مائدة المطبخ لتصب قدح قهوة لرئيس الخدم :

– لقد ذهب الأطفال للسباحة وكان من الواجب عليك أن تستغل هذا الهدوء لتستريح .

قال "بتلر" متصنعا الدهشة وبصوت لاذع :

– هل ذهب الأطفال للسباحة بدون مربيتهم ؟

رد "ريمي" بنفس اللهجة :

– لقد بقيت المربية لرعاية الطفلة .

همهم "بتلر" :

- فهمت ! وترعاها مع سيدة البيت !

أحست "دانيال" بانها مشتتة . كيف سمحت لنفسها ان تنساق إلى هذا الموقف المخجل ؟ لابد انها فقدت عقلها عندما سمحت لنفسها ان تنجذب نحو ذلك الاسكتلندي الذي ليس سوى خادم عندها . لابد أن هذا من علامات الشيخوخة او ان هذه الأعراض التي تسبق مرض فقدان الذاكرة التدريجي المعروف باسم "الزهايمر" . إنها لا تجد تفسيرا آخر لضعفها . لم يكن من المنطقي او المعقول ان تقع عاشقة لشاب صغير مثل "ريمي دوسيه" الذي يحلم بتكوين اسرة وان يقضي بقية حياته في مربع مساحته مائة كيلو متر مربع فقط

وقعت عيناها على الحقيبة التي تحوي آلاتها الفوتوغرافية فامسكت بها كانها تمسك بحلقة النجاة . وعندما اتجهت إلى الباب والحقيبة تتطوح على كتفها كف الرجلان على ان يتفحص كل منهما الآخر بنظراته وتحولا معا برأسيهما نحوها .

قال "ريمي" :

- يا جميلتي .

قال "بتلر" :

- أين ستذهبين ؟

قالت لهما في تحد وهي متسلحة بالشجاعة امام نظرات الخيبة والأسف التي وجهاها إليها .

- إلى العمل ! لابد أن اكسب لقمة العيش واحصل على المكانة التي أستحقها !

الفصل الثامن

استطاعت "دانيال" أن تتجنب الأطفال و"ريمي" أيضا طوال النهار . بعد أن غادرت المنزل تجولت في المدينة ولديها العزم الأكيد أن تنسى شكوكها ومتاعبها . ومع ذلك أحست بالذنب لانها تركت أولاد اختها وإن كانت تعلم انهم بين أيد أمينة . والأسوأ من ذلك انها بدأت تحس شيئا فشيئا بالحماقات والصرخات التي اشتاقت إليها . قضت الجزء الأكبر من النهار في تصوير الأبواب والمحلات وحوانيت العاديات والآثار في شارع "ماجازين" ، وحاولت أن تقنع نفسها في سخرية - كلما خطرت صورة "ريمي" على بالها - انها تكاد تنضم إلى الأنتيكات المعروضة في واجهات العرض باعتبارها شيئا عتيقا .

كان العدد الكبير من البيوت المبنية بالطوب الأحمر والقرميد يرجع تاريخها إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر . وكانت أبوابها قطعا فنية حقيقية لا تستخدم فقط في الدخول إلى شركات أو حوانيت وإنما كانت تزين واجهات فسحات ودهاليز عاصرت الإمبراطور بتين الإسبانية والفرنسية والقراصنة والحسان والجنود والمهاجرين الذين لم يحملوا معهم سوى خُرج يحوي كل متعلقاتهم . كانت الأبواب تفتح

www.rewity.com

على الأحلام .

في هذا اليوم من الأسبوع كانت الحوانيت مفتوحة والحرارة الشديدة لا تشجع الناس على الخروج وهو ما يناسب "دانيال" تماما . لمعت بعض قطرات العرق على صدرها ونزلت إلى ظهرها ولكن بعد اللحظات الرهيبة التي عاشتها في المطبخ فإنها لم تحس بالحرارة شبه الاستوائية .

أدركت بسرعة أن تركيزها الذي اشتهرت به تبخر في الهواء . لم تكف صورة "ريمي" عن اعتراض تفكيرها ومنعتها من أن تأخذ الصور التي تريدها .

جلست أمام مائدة في شرفة مقهى في المربع القديم من المدينة وأفطرت بزجاجة مياه معدنية و"ساندوتش جمبري" . وجدت صعوبة في ابتلاعه . كانت إثارتها الداخلية التي لا صلة لها بالإثارة التي تحس بها عندما تدفعها نزواتها إلى الذهاب لأطراف الأرض ولكن الإثارة الأولى كانت تخيفها .

كانت تحس باضطراب كالإعصار .. كالذي دفعها للهرب من "لندن" . إنها تكره ذلك الشيطان الداخلي ولكنها أحست بانها غير قادرة على مقاومة مطالبه . لولا أختها غير الشقيقة لكانت الآن في حالة طيبة بعيدا في مكان سري لا يعتمد فيه أحد عليها ولا يعثر أحد عليها .

في اليوم التالي والأيام التالية له كانت انشطتها مرهقة . ولكنها سمحت لها أن تبقى بعيدا عن بيت "بوفييه" أو بالأحرى عمن يشغلونها .

كانت تنهض في الفجر وتهرب بالاتها الفوتوغرافية ولا تعود إلا ساعة نوم الأطفال ، وهي اللحظات التي يكون فيها "ريمي" مشغولا للغاية ، وبعد أن تتمنى نوما سعيدا للجميع تغلق على نفسها غرفتها السوداء حيث تعمل في إظهار الصور إلى منتصف الليل .

بعد ذلك تتسلل إلى غرفة "كاميل" وتراقبها وهي نائمة فترة طويلة ، وبعد ذلك تنام عدة ساعات قلقة ثم تستانف نظام حياتها الروتيني ولكن هذا النشاط الزائد زاد تعاستها .

أحست - وهي مشدودة الأعصاب - بانها مذنبة ولديها شعور بان

سكينا يقطع صدرها .

إن فكرة أنه لم يبق أمامها سوى أسبوعين لتتماسك قبل أن تهرب إلى أبعد مكان ممكن ، وأن تنام شهرا كاملا بلا انقطاع ... هي التي ساعدتها على عدم الانهيار .

قالت في نفسها : وربما شهرين ستنامهما - وهي تجر قدميها نحو حجرة التصوير المظلمة لليلة الثالثة على التوالي .

صرخ "أميرواز" عندما مرّ على الحجرة :

- يا خالة ...

جرى كي يلحق بها عند عتبة الحجرة وهو مرتد كعادته بيجامته المكرمشة وقد ارتدى قناعا على وجهه وتحت إبطه كلبه المصنوع من القطيفة ، ويتبعه أيضا كلب حقيقي من نوع كلاب الصيد ذي لون أبيض في كستنائي .

سألها :

- أين كنت طوال النهار يا خالة "دانيال" ؟

- كنت أعمل يا "أميرواز" .. هذا الكلب ليس كلبك أين ذهب ذلك البدين ذو الفرو الطويل ؟

تظاهر "أميرواز" بانه لم يسمع شيئا .

- أنت طوال الوقت . أنت تفسدين كل شيء . لقد ذهب السيد "بتلر" كي يجلس فوق النجيل ، ورشته "چولي" بمسدسها المائي وأغرقته بالماء ، وقد أضحك ذلك السيد "ريمي" كثيرا ، ولكن لم يره أحد سواي يا خالة . وهذا سري أنا ، كما وضع "ريمي" حذاء في كرسي التواليت فأفسده وفاض الماء في كل مكان . وهناك أيضا "تانيا" التي تقيات.

كانت "دانيال" مرهقة للغاية حتى تأخذ الأمر بجدية . مررت يدها في شعر الشيطان الصغير :

- يبدو عليك أنك تمتعت كثيرا يا عزيزي .

- لقد اشتقت لك يا خالة "دانيال" وكم كنت أود أن تكوني موجودة .

أحست "دانيال" بغصة شديدة في حلقها . إن "أميرواز" يشتاق إلى "دانيال" ! همهمت :

- وأنا اشتقت لك كذلك .

- إذن لماذا يجب أن تعملي ؟ لماذا لا تبقين معي ؟

- هذه المسألة يصعب شرحها يا "أميرواز" ولكن ...

قطع كلامها صوت خطوات مسرعة في الدهليز .

استدارت لترى "چولي" و"چيرمي" يندفعان نحوها كانهما يهربان من خطر مجهول .

قال "چيرمي" :

- مرحبا ! هل يمكن أن ندخل حجرة التصوير معك ؟

هزت "دانيال" راسها علامة للنفي وإن كانت في نفسها سعيدة.

إن الأطفال يودون أن يقضوا وقتا معها ، ربما كانت لها قيمة على عكس ما تعتقد .

- لا لانكما تعلمان جيدا أن الدخول ممنوع للأطفال حيث توجد مواد وأدوات خطرة هناك قد تضركما .

توسل إليها "چيرمي" بعينيه بينما القت "چولي" نظرة عصبية خلفها وقالت :

- من فضلك يا خالة "دانيال" إنه أمر عبقري .

أحست "دانيال" بانها تضعف ولكنها لم تستسلم ورغم رغبتها في أن يحبها الأطفال إلا أن عليها أن تراعي أولا قواعد السلامة.

إن رجلا في سن التاسعة ومعه أخته الصغرى لا مكان لهما في حجرة مليئة بالمواد الكيميائية . قالت :

- هذا مستحيل يا أطفال .

كانا سيتوسلان إليها من جديد عندما تردد صوت خطوات على الدرج . شحب وجها "چولي" و"چيرمي" المغطيان بالنمش . نبح كلب الصيد وانفجر "أميرواز" في الضحك . ظهر "ريمي" على عتبة الباب وكانه إله الانتقام الاسكتلندي . كان ضخما وغامضا وساهما والقى نظرة على "چيرمي" و "چولي" . صاح بصوت كالنباح :

- انتما الاثنان ! إلى المطبخ . وباسرع ما يمكن ، ولا تحاولا إثارتي اكثر مما انا عليه وإلا اتصلت باخي "لاكي" حيث يحملكما ويستخدمكما طعاما للتماسيح .

خفض الطفلان راسيهما ثم اختفيا جريا . بينما أحست "دانيال"

بالإحباط . على أية حال لقد حاولا استغلالها كي يختبئا في الغرفة المظلمة .

سألته :

- ماذا فعلا أيضا ؟

وضع "ريمي" يديه في وسطه :

- هل تقول لوحة "بوفييه" - الذي حارب في معركة "نيو أورليانز" إلى جانب "أندرو" : لك شيئا ؟

- تلك المعلقة في مكتب "تشارلز" ؟

- إنها بعينها . لقد قرر الثنائي الديناميكي أن الصورة ستكون افضل لو اضيف إلى "بوفييه" شاربا .

زفرت "دانيال" في ذهول :

- أوه ! لا !

- أوه ! نعم بواسطة قلم فلوماستر غير قابل للإزالة . إنهما سيعاقبان على الجرم الذي ارتكباه عن طريق تنظيف ارضية المطبخ بفرشاة أسنان ...

قال "أميرواز" الذي كان يتحرق شوقا لأن يضيف الزيت للنار !

- لقد غضب السيد "بتلر" حقا .

قال "ريمي" :

- لقد حانت ساعة نومك أيها الأب الصغير .

جذب "أميرواز" يد خالته كي تقبله ثم عاد في رزانة إلى حجرته والكلب الغامض في اعقابه .

ما إن اختفى حتى ادركت "دانيال" - في الم شديد - أنها بمفردها مع "ريمي" لأول مرة منذ ذلك المشهد الرهيب العاصف في المطبخ .

قالت وعيناها منخفضتان :

- حسنا .. عندي عمل . وأنا مسرورة لانني أجد انك نجحت في مهمتك جيدا .

قال لها - وهو سعيد لأن وجهها احمر خجلا - :

- أعرف كيف اتصرف . هل يمكنني أن ادخل معك الغرفة المظلمة ؟ أنا ولد كبير وعاقل .

ردت بحدة :

- لا .. لست واثقة ولا أحب أن أكون مشتتة أثناء العمل .

تحولت عنه ودست المفتاح في القفل ، ولكنه لم يتحرك وأحست به وراء ظهرها وهو ساكن . قالت له وهي تنسل إلى داخل الغرفة المظلمة:

- تصبح على خير !

حاولت أن تغلق الباب وراءها ولكن قدما كبيرة حافية منعتها . وقال بابتسامة طفل بريء :

- أريد أن أرى ماذا كنت تفعلين في النهار وانت تتجنبينني ؟

دخل بالقوة إلى الغرفة الضيقة التي كانت تستخدم مخزنا للملابس . ورغم عدم موافقة "دانيال" التي لجأت إلى آخر الغرفة- فإنه أخذ يفحص الزجاجات وعلب ورق التصوير والمكبر والمجفف وكل الأدوات الفنية التي تستخدمها .

في الأيام السابقة وجد العديد من كتبها في المكتبة الخاصة بال "بوفييه" ودرسها بدقة . لقد كانت "دانيال" تفيض بالموهبة حقا . لقد كانت لديها موهبة خارقة لاقتناص أساس كل إنسان وأعماقه وهي تصوره . وكانت لقطاتها تعبر عن أحاسيسهم البسيطة والمعقدة من فرح وحزن وخوف بمنتهى الوضوح . لقد كانت صورها ناطقة حتى لتبدو كأنها ذات أبعاد ثلاثة مجسمة .

أثرت فيه بعض الصور لدرجة أوشك فيها على البكاء . لقد كانت أعمال فنانة حقيقية وامرأة ذات حساسية غير عادية .

كانت تعرض في صورها نفسها مما جعل "ريمي" يزداد عشقاً لها حتى إنه غفر لها أن تركته مع تلك الفرقة من الشياطين الصغار .

قالت له :

- عندما تنتهي من تفتيشك قد أستطيع العمل .

وردا على ذلك : توجه "ريمي" نحوها وهو مصمم على ألا تفلت منه هذه الفرصة الجديدة . بدأ بأن فكر بأن انجذابه إليها كبير لدرجة أن الأمر سينتهي بها إلى أن تكف عن الهروب منه ولكنه أدرك الآن أن عليه المبادرة .

أمسك مجموعة من الصور المكبرة بالأبيض والأسود من فوق الرف الذي كانت بجواره ، وسألها :

- هل هذه آخر صورك ؟

- نعم .. يمكنك أن تشاهدها .

كانت حوالي مائة صورة تمثل جميعا أبوابا وواجهات عرض مغلقة بزوايا خيالية . أخذ "ريمي" يفحصها واحدة تلو الأخرى وهو متجهم. انتهى بأن سأل :

- لماذا لا يوجد أشخاص في هذه الصور ؟

- لأنني لا أرغب في تصوير الناس .

- ولكن هذا ما كنت تفعلينه عادة سواء في "الهند" و"يورا يورا" و"باريس" .

تلقت "دانيال" ملاحظته بأن هزت كتفيها فقالت بإلحاح :

- إنني أجد أن الصور ينقصها الناس .

قالت في تلعثم وهي تدرك تماما أنه على حق :

- يوجد ناقد خفي داخل كل منا .

مرات عديدة كانت توشك أن تضغط زر الالتقاط في لحظة خروج عميل من حانوت تبدو عليه السعادة ، أو بائعة متعبة تخرج لاستنشاق بعض الهواء ، أو امرأة عجوز تخرج من بيتها لتضع سلطانية بها لبن من أجل القطط الضالة ، ولكن في كل مرة كانت تنتظر الأبواب حتى تغلق .

قال "ريمي" :

- سأصحب الأولاد إلى حديقة الحيوان غدا وأعتقد أنك التقطت ما يكفي من صور الأبواب حتى الآن فتعالي صاحبينا .

نظرت إليه نظرة متهكمة وقالت له وهي تضحك :

- يوم في حديقة الحيوان مع عائلة "بوفييه" ؟ يا لها من فكرة خيالية.. لابد أن الأمر سيكون محيرا ..

قال لها في تحد :

- من أي شيء تخافين ؟ من أن تتمنعي ؟

لقد كان هذا بالضبط ما تخشاه ولكنها لن تعترف بذلك أبدا . إن أي

اعتراف له بأسرارها سيربطها به أكثر ويضاعف من عذابها إذا هجرها . قالت متسائلة كي تحول الحديث لموضوع آخر :

- كيف حال "بتلر" اليوم ؟ هل ظهره بخير ؟

رد "ريمي" بلهجة متهكمة :

- إنه حقا مثير للضجر .

- ولكنه يؤدي بإتقان كل عمل مطلوب منه أداؤه .

- إذا كنت تقصدين بذلك كيف يشكو ويبقى راقدا فإنه سيد متخصص في ذلك .

- إنه يزعجك لأنه قاطع ..

عضت "دانيال" على شفتها ولفت نفسها ؛ لأنها أعادت الموضوع إلى الضوء .

قال "ريمي" بصوت ممطوط منزعج :

- نعم هذه هي الكلمة المضبوطة ولازلت منزعجا وربما يمكنك الآن أن تسري عني مادمنا بمفردنا .

قالت :

- طبعا مستحيل .

سألها "ريمي" :

- ولم لا .. إننا بالغان وعاقلان .

- بعض الناس أكثر عقلا ورزانة عن البعض الآخر .

شد ضفيرتها التي على شكل ذيل الحصان وقال لها :

- كفي عن الشعور بأن فكرة السن تسيطر عليك وتضطهدك . أنا لا أعيرها أدنى انتباه ، ولابد أن يكون الأمر كذلك بالنسبة لك .

- آسفة لأن أعارضك ، ولكني أرى أنه لن يحدث أي شيء بيننا.

- المشكلة معك يا عزيزتي أنك تفكرين أكثر من اللازم .

ضغطت على زر كهربائي فتحول الضوء الأبيض في الغرفة إلى ضوء أحمر . وهو ضوء الأمان عند إظهار الصور الفوتوغرافية . تساءلت في نفسها : إن هذه أول مرة تعمل فيها داخل الغرفة ومعها رجل ، وأحست بإحساس غريب : هو شعور بأن عليها أن تستسلم لعواطفها .

ولكن القدر لم يمهلها أيضا هذه المرة حيث اختار أحدهم هذه اللحظة بالذات ليطرق الباب .

صاح "ريمي" في غضب عارم بعد أن أطلق دفعة من السباب الشعبي الاسكتلندي بينما استردت "دانيال" سيطرتها على نفسها. قال :

- لابد أن يكون الأمر عاجلا وإلا ...

فتحت "دانيال" الباب واتسعت عيناها عند رؤيتها للشخص الواقف خلف "تانيا" التي كانت هي نفسها مذهولة .

قالت الصغيرة :

- إن كاهنتك الروحية وصلت يا سيد "ريمي" .

كررت "دانيال" غير مصدقة :

- كاهنة روحية ؟

قدمت المجهولة قدميها وهي تبعد ذراعيها عن بعضهما وتهز مجموعة لعب تصدر أصواتا في يدها .

قالت تقدم نفسها :

- الآنسة "أريك" .

كانت ترتدي قفطانا على الطراز المغربي بألوان صارخة وحوالي عشرين دورا من العقود من اللؤلؤ حول رقبتها ذات ألوان متعددة . وكانت كل أصابعها التي تنتهي بأظافر صناعية طويلة مغطاة بالخواتم وكانت زينتها مبالغا فيها فشفتاها بلون الدم والعينان سوداوان والرموش بلون الفحم صناعية أيضا ، والجميع يتوجه باروكة شعر أسود مجعد فوق رأسها .

لم تبد الدهشة على "ريمي" إطلاقا ، واكتفى بأن نظر إليها في غيظ وقال لها بحدة :

- لقد وقعت علينا في وقت سيئ حقا !

لمعت عينا الآنسة "أريك" وساد "دانيال" شعور بأن هذه الشابة تعرف بالضبط ماذا قطعت عليهما .

قالت "دانيال" للصغيرة :

- هيا خبريني : ماذا يجري بالضبط ؟ ولا تلقي القبعة على "جيرمي".

تدخل "ريمي" معلقا :

- لكنك بدأت تحبين هؤلاء الأطفال !

ردت "دانيال" بحدة :

- لا تحاول تغيير الموضوع بأن تهيئني . أعرف أن "چيرمي" يستحق أكثر مما تفعله فيه هذه الحية الرقطاء ولكن ...

قاطعها وهو يقودها خارج الحجرة المظلمة من كوعها :

- لا تقلقي يا عزيزتي .. إن هذه الآنسة جاءت لتشفي "بتلر" .

رفعت "دانيال" حاجبيها دهشة :

- ولكن هذا لن يعجبه !

همهم "ريمي" من بين أسنانه :

- إنني أعتمد عليها تماما .

لقد فاض به الكيل من ذلك العجوز الذي يتطفل عليه وينقد مسلكه والأدهى من ذلك وأمر أنه يتعمد مقاطعتهما وهما في المطبخ وبسببه اختفت "دانيال" ثلاثة أيام .

ذهب الجميع في طابور إلى شقة "بتلر" والأولاد يقتلهم الفضول ويسارعون خطواتهم ليلحقوا بهم .

دخل "ريمي" دون أن يطرق الباب . كان "بتلر" واقفا وسط الحجرة ففزع وتظاهر بالاستناد على عصا الجولف التي كان من الواضح أنه يرقص بها رقصة "السوينج" وعاد إلى سريره وهو يعرج .

قال له "ريمي" وهو يبتسم في مكر :

- هذه ساعة العلاج أيها العجوز !!

صاحت "دانيال" :

- ماذا تفعل وانت واقف يا "بتلر" . إن ظهرك لن يشفى أبدا إذا لم ترتح .

تلعثم الثعلب العجوز :

- لقد كنت أقوم بضبط التليفزيون .

- ولماذا لا تستعمل الـ"ريموت كنترول" ؟

- إنني لا أعرف كيف أستعمله حيث إن فيه الكثير من الأزرار .

نظرت إليه "دانيال" نظرة شك . إن بيت والدها كان يحتوي على

أجهزة كهربائية أكثر من الأجهزة التي يستخدمها "چيمس بوند" في مغامراته ويستطيع "بتلر" أن يستخدمها ببراعة . ربما بدأ يتأثر بالشيخوخة . عند هذه الفكرة أحست بقلبها يرتجف .

أدخل "ريمي" الكاهنة إلى حجرة "بتلر" وأغلق الباب أمام خمسة أزواج من العيون الجاحظة المتوترة .

- يمكنك أن تلقي بكل أقراصك وأدويتك يا سيد "بتلر" لقد عثرت على ما تحتاجه .. معالجة لا تفشل أبدا . وستعيد إليك صحتك وحيويتك في لمح البصر . أقدم لك الآنسة "أريك" .

دفع الكاهنة نحو السرير وفي مرورها ألقت "أريك" نظرة موارية على أخيها وهي تصفر من بين أسنانها بطريقة لم يسمعها سواه:

- ستسحقك "جيزيل" لو اكتشفت هذا .

- إذن حاولي أن ترتبي الأمر بحيث لا تعرف عن ذلك شيئا يا أختي الصغيرة .

ثبت "بتلر" عينيه على المخلوقة المذهلة وامتقع وجهه بينما سارعت نحوه وهي تصنع دوائر في الهواء بيديها وتصدر تعويذات بلهجة أهل الكاريبي . رفع عصا الجولف وهددها وهو يصيح :

- إنك لن تضعي يدك الكافرة عليّ أيتها الساحرة .

ازدادت "دانيال" شكا فيما يجري وراقبت المعالجة وهي تقوم برقصة الهنود الحمر حول السرير على أنغام أغنية "ديكسي" مشهورة اسمها "ايكو . ايكو !"

ثم لاحظت أن البودرة السحرية الداكنة التي تلقي بها الساحرة في الهواء لها رائحة البن المطحون ، عند قدم السرير كان ذو الشارب المفتول "ريمي" يصارع نفسه حتى لا ينفجر ضاحكا . صرخ "بتلر" ووجهه تلون بلون قرمزي :

- اخرجي من هنا أيتها الساحرة اللعينة .. لا أريد سحرك الأسود هنا في البيت !

نظر إلى "دانيال" في استرحام ثم سقط على وسائده وبدأ يتأوه ويشير بأصبع الاتهام إلى "ريمي" :

- كل هذا بسبب غلطتك !

نظرت "دانيال" إلى "ريمي" نظرة سوداء قطعت اعتراضاته . وقالت بحدة :

- حسنا يا سادة .. لقد انتهى المشهد .

أمسكت الكاهنة المزعومة من أحد عقودها اللؤلؤية وقادتها إلى الباب حيث اخرجتها من الحجرة . تحت أنظار عائلة "بوفييه" التي اتسعت عن آخرها .

وهي تقول لها :

- ابعثي لي بفاتورة الحساب عن العلاج باسم السيد "دوسيه" وإذا امتنع عن الدفع فلا تتاخري أن تصفي عروسا من الورق على صورته وأن تثقبيها بالدبابيس حتى ينتقم سحرك منه .

ما إن أغلقت الباب وراء الساحرة حتى استدارت "دانيال" نحو "ريمي" والقت عليه نظرة غاضبة :

- لابد أن تشعر بالعار لأنك قمت بهذه الخدعة .

قال "ريمي" الذي كان يود أن يكشف غريمه :

- انا ؟

ولكنه لم يستطع أن يخفي مكره الاسكتلندي . إنه لم يستطع أن يقول لـ "دانيال" : إن كبير خدمها العجوز العزيز يعتبرها سانجة وإنه ود لو انه كشف لها عن خداعه .

قالت له :

- اعتقد أن عليك أن تقدم بعض الاعذار للسيد "بتلر" يا سيد "دوسيه" واترك لك هذه المهمة .

دخل "ريمي" حجرة كبير الخدم وهو يشير إلى الرجل باصبعه :

- انت غشاش يا عزيزي !

رد عليه "بتلر" بنفس الطريقة وهو مستعد لاستخدام عصا الجولف :

- وانت كذلك ايها الشاب .

- انت لا تعاني الما بظهرك وانت اصح مني .

- وانت لست مربية تماما كما انت لست نجما في الرقص .

نظر إليه "ريمي" في حيرة :

- نتيجة المباراة التعادل ، والآن ماذا نفعل ؟

فجاة أصبح "بتلر" رزينا جدا وربط حزام ثوبه ليتمالك نفسه اكثر . قال بصوت مفعم بالإثارة :

- لن أقبل أن تضر صغيرتي "دانيال" !

- وهذا ليس في نيتي . يكفيها ما سببته لنفسها من ضرر .. أتوافقني ؟

قال "بتلر" مؤكدا :

- نعم .. لقد أضرت بنفسها بما يكفي .

كان الرجل يتالم الما لا دخل له بما يدعيه من الم في ظهره . قرب "ريمي" مقعدا من السرير وجلس على مهل . ثم وجه نظرة طويلة إلى "بتلر" :

- لماذا لا تقص علي كل شيء ؟

رد عليه "بتلر" نظرته بمثلها دون أن يفصح عن شيء وإن كان بداخله مسرورا .

همس "بتلر" في التليفون بعد رحيل "ريمي" :

- إنه أنا .. لا تقلق .. كل شيء يسير حسب الخطة بسرعة الصاروخ .. لقد مررنا ببعض العثرات خلال اليومين الماضيين ولكن كل شيء تم ترتيبه وانا مقتنع الآن تمام الاقتناع .

الفصل التاسع

أطفأت "دانيال" نور الغرفة المظلمة وخرجت إلى الردهة . منذ المشهد المخبول الذي قدمته الآنسة "أريك" لم تر لا "ريمي" ولا "بتلر" ، وتساءلت: هل نظم الرجلان علاقاتهما . إن "بتلر" لن يترك فرصة لمهاجمة "ريمي" الذي يرد له الصاع صاعين . لابد أن كل هذا يرجع إلى الغيرة ولم تمنع نفسها من الابتسام أمام هذه الفكرة .

لما كان باب حجرة الرضاعة مفتوحا فإنها دخلت هناك بطريقة آلية . كان "ريمي" لا يزال مرتديا نفس القميص الأبيض المفتوح إلى منتصفه وهو يتارجح فوق المقعد الهزاز بينما خصلات شعره تلمع في العتمة . كان يغني أغنية للطفلة التي كانت تنام في هدوء بين ذراعي "ريمي" .

كان عليها أن تدور نصف دورة وتهرب ؛ ولكنها ظلت مشلولة في مكانها وقد تأثرت حتى أعماق أعماقها من سحر المنظر ، وهي ترى ذلك الرجل الذي يمتلئ رجولة يهدهد "كاميل" بحنان وحب لا نهاية لهما .

كان صوته منخفضا وعميقا وكأنه همس الريح . رفع عينيه نحوها وفات الوقت للتراجع . قالت وهي مترددة أن تخطو خطوة نحوه :

- إنه شيء ساحر وممتع .

كان "ريمي" يفكر في حديثه مع "بتلر" وتساءل :

إن كان قد اعترف له بأنه يعرف كل شيء دون أن ينطق بكلمة . ولا شك أن التحالف الذي عقده مع الرجل العجوز هو دليل على أنه يعرف كل شيء . قرر أن يتبع حاسته . قالت "دانيال" :

- سأذهب لأنام ولكني أردت أن ألقي نظرة على "كاميل" وأرى أنها بخير .

بدا أنها مترددة في الخروج من الحجرة وامتلأ قلب "ريمي" بالعطف عليها . إنها لن تعترف أبدا ، ولكنها تخشى أن تترك الطفلة . لقد أحس من أول ليلة وفي كل مرة يجدها جالسة في المقعد ذي المساند نفسه وسط الليل وهي تسهر على الطفلة الصغيرة ابنة أختها .

لقد اكتفى بمراقبتها وهو مختف في الظل . إنه يعرف من الآن مدى محنتها . نهض بتمهل ووضع الطفلة في مهدها بين حيواناتها الصغيرة المصنوعة من القطيفة ثم استدار نحو "دانيال" التي نقلت نظرها من الطفلة إليه .

قالت بصوت يعوزه الحزم :

- أعتقد أنني سأستريح بعض الوقت هنا . إنني في حاجة للاسترخاء .

منعها "ريمي" من الجلوس على المقعد الهزاز وهو يمسك بها من كتفها برقة ، وقال :

- إنها بخير يا "دانيال" إنها تنام نوما عميقا .

قالت ونظرتها العميقة نحو الطفلة تكذب قولها :

- أعرف ذلك جيدا .

تعذب "ريمي" من أجلها ورفع ذقنها المدفون وسط شعرها الرمادي وهمس :

- إنها ليست غلطتك يا عزيزتي .

قالت في نفسها : إنه يعرف .. إن "ريمي" على علم بما حدث في "لندن" ، وعن طفل "آن فيلدنج" . إنه و"بتلر" لم يكتفيا بوضع نهاية للحرب بينهما فحسب وإنما أحست بأنها تعرضت للخيانة من "بتلر" .

قال "ريمي":

- إنها ليست غلطتك يا "دانيال".

ابتعدت عنه ورفضت الراحة التي تحسها بقربه لأنها حكمت عليه بانه غير جدير بثقتها. وقالت له:

- الأحرى أن تقول هذا للمرأة التي مات طفلها بينما كان من المفروض أن أراقبها.

- إن ذلك لم يكن سيغير من الأمر لو كنت بجوار سريرها.

ردت بصوت مليء بالمرارة:

- ولكني لم أكن هناك. لقد كنت في حجرتي المظلمة مشغولة بالشيء الوحيد الذي أعرفه وأحب أن أعمله. لقد كنت أعمل بدلا من رعاية الطفل.. طفل صديقتي كما وعدتها. لقد كنت منهمكة جدا لدرجة اني نسيت انه ينام بجانبي. وعندما عادت "آن" كان الطفل قد مات.

قال "ريمي" طبقا لما شرحه له "بتلر":

- كان موتا مفاجئا من الرضعة.

كان "ريمي" قد قرأ كثيرا من المقالات في مجلات "تربية الأطفال وعلاجهم" عند اخته "جيزيل" فعرف من مدة طويلة معلومات عن هذا الموضوع مما جعله لا يتهم "دانيال" بالإهمال..

- لم يكن بوسعك أن تفعلي شيئا يا "دانيال".. لم يكن باستطاعة أحد أن يمنع الموت..

همست بصوت مخنوق من تانيب الضمير:

- كان من الواجب أن أكون موجودة هناك.

كانت على استعداد لأن تضحي باي شيء في سبيل إعادة تلك الليلة للحياة. إنها على استعداد للتنازل عن موهبتها لو كان ذلك ممكنا. سالت الدموع غزيرة على طول خديها وهي تكرر للمرة المليون انه لا يوجد اي شيء او تضحية او حزن او اسف يمكن أن يعيد طفل "آن" للحياة مرة ثانية.

رفعت قبضتها إلى فمها واخذت تعض انامله وهي تفكر في الحياة التي ذهبت بمفردها في تلك الليلة دون كلمة مالوفة او مداعبة او أن تودعه.

كان الألم يمزق قلبها وكان سنة كاملة لم تمر وانه لا شيء على

الإطلاق يمكن أن يخفف عنها.

اجتاحتها نوبة من النحيب الصامت هزتها ولم يعد لديها أي قوة للمقاومة. أسندت رأسها على كتفه المريحة المطمئنة وتراخت. أخذت تستعيد في ذهنها الكلمات التي وجهتها لها "آن" واتهمتها بانها وحش أناني، ومدمنة عمل وامرأة غير قادرة على رعاية الأطفال وغير جديرة بأن يكون لها أطفال.

عادت الدموع تتساقط لأنها كانت تعرف أن "آن" على حق. قال لها:

- لا تبكي يا حبيبتي .. لا تبكي .. أنت تحطمين قلبي.

قالت له بين شهقاتها:

- أنت تعرف الآن لماذا لا أستطيع أن أفعل شيئا هنا ولم يكن من الواجب على "سوزانا" أن تطلب مني الحضور.

عارضها "ريمي" قائلا:

- بالعكس، وأنا أعرف بالضبط لماذا فعلت ذلك.

كان مدركا للعاطفة التي تربط بين الأختين غير الشقيقتين. وأن "دانيال" كي تقدم خدمة لأختها قبلت أن تتحمل هذا العذاب العاطفي.

- ولقد طلبت أنت منها ذلك لأنها تثق بك.

- أنت مخدوع. لقد كنت دون شك الشخص الوحيد في العالم التي لا تعرف سمعة قطيعها من الوحوش الصغيرة والوحيدة التي قبلت أن ترعاهم.

زادت نبرة الحزن في صوتها. إن القسوة التي عاملت بها نفسها - ونقص ثقتها بنفسها - لم تكن علامة تدل على أنها أنانية ولا أنها شخصية لا يعتمد عليها.

- كم من الوقت ستستمرين في معاقبة نفسك على شيء لم تكوني مسؤولة عنه؟ لست سوى امرأة يا "دانيال" ولست ممن يستطيعون تغيير القدر المكتوب. إن موت ذلك الطفل هو حدث ماساوي ولكنك لم تسببيه. إن هذه الأمور تحدث ولا نستطيع إلا أن نبكي ثم نعود إلى استئناف الحياة.

- وكيف تريد من "آن" أن تستمر في الحياة؟ لقد فقدت طفلها.

- ونحن أيضا لا نستطيع تصور آلامها .. ولكن الحياة يجب أن

تستمر وإلا فلن تضيع حياة واحدة ، وإنما اثنتان . لا تضيعي حياتك يا "دانيال" إن هذا لن يبعث الطفل ثانية ولا تدعي الشعور بالذنب يبعدك عن أسرتك وفنك وعني أنا نفسي .

لقد لجأت إلى "التبت" حتى لا تفرض انانيتها على الآخرين ومع ذلك لم يغير هذا من الأمر شيئا .

وها هو "ريمي" قد استطاع أن يستشف داخلها وكانها واضحة كالنهار .

منذ متى كان الرجال ثاقبي النظر ولديهم القدرة على الإدراك الحسي؟

قالت :

- انت تفهم كل شيء .

- انا صديقك يا "دانيال" واحاول ان أساعدك بالقدر المستطاع عديني الا تلتقطي صور الأبواب المغلقة وابدئي الحياة من جديد.

قالت وهي تجاهد الا تسقط دموعها :

- واين تعلمت كل هذه الحكمة ؟ من مدرسة المربيات ؟

عض "ريمي" على شفته .. لم يحن الوقت كي يكشف لها عن تامره ، وقال :

- اعتقد أن هذا موروث في العائلة .

همست بصوت مخنوق :

- شكرا على أية حال .

خفض "ريمي" راسه وحك انفه . كان يحاول أن يحقق فكرته : أن عليها ان تعود إلى الحياة مرة اخرى وانها في حاجة إلى الترفيه . وان تختلط باشخاص جدد ، وعليه أن يشير إليهم حتى تخطو الخطوة الأولى.

قالت له :

- لا يجب أن ننساق وراء عواطفنا .

- ولم لا ؟ إننا بالغان ولدينا كل ما نريده وكوني صادقة مع نفسك ، واعترفي بانجذابك إلي .

كان مجرد النظر إليه يعيدها إلى الحياة ويوقظ مشاعر داخلها نامت

منذ وقت طويل . قالت له :

- هناك الاف الأسباب تمنعنا .

دعت في نفسها الا يطلب منها ان تعدد تلك الأسباب . لمع وميض شيطاني في عيني "ريمي" وبدا كانه قط حاصر عصفور "كناريا" قال :

- حاولي أن تحسبيها كلها ، والنتيجة ستكون صفرا .

اعترفي يا عزيزتي بهذا الانجذاب الذي بيننا فلم تنكرينه ؟

- من الواجب أن أنهي خدمتك حالا .

أخذت الصور التي تتخيلها "دانيال" تدير رأسها . إنه على حق ، ومن الأفضل أن تنتهز الفرصة وتقضي وقتا ممتعا مع ذلك الرجل الذي ينضح رجولة ووسامة قبل أن يصيبها الكبر في يوم ما .

همس صوت صغير في أذنها يحذرها من أنها تخاطر بالوقوع في حبه ، ولكنها استبعدت هذا الاحتمال . إنها من عائلة "هاميلتون" ومغامراتها لا تدوم كثيرا . إنهما سينجذبان لبعضهما وقتا ثم يفترقان بذكريات جميلة عن تلك المغامرة التي حدثت في الصيف .

أحس "ريمي" بانها اللحظة المناسبة التي استقر فيها رايها . رفع عينيه إليها وهما تلمعان تحت ضوء القمر . لقد أراد أن يمحو الظلال القاتمة التي طبعها التوتر على عينيها . لقد أراد أن يريها كم هي مرغوبة وان عليها أن تنسى الوحدة التي في قلبها المثقل .

أمسك بيدها وقادها إلى الشرفة بعد أن القى نظرة اطمئنان على الطفلة . وقفا وقلباهما يدقان بشدة وهما محاطان بجو اثيري وروحاهما تهيمان في عالم ليس كالعالم الذي يعيشان فيه . لم يسبق لـ "دانيال" أن رأت رجلا في ملاحته ووسامته وقوته البدنية ، كانت تنظر إليه بعين الفنانة .

وهو ينظر إليها تحت ضوء القمر ، رأى كم هي جميلة ، ممشوقة القوام ، تقاطيعها مثل ملكات الجمال وأحس في هذه اللحظة كم هو يحبها ولكن أتعرف هي كم يحبها !!

- أنت لا تعرفين كم أنت جميلة ، وإنني أتحرق شوقا لأن أعترف لك بحبي واثبت ذلك . ولا تعرفين كم من الليالي سهرت وانا اتخيلك ؟

عاد الصوت الصغير بداخلها يهمس لها فقالت له :

- إنني أغرق .

- وانا كذلك .

قالت له وقد غزاها الشك مرة أخرى :

- هل ستبقى معي ؟

ركز "ريمي" عينيه في اعماق عينيها الفضيتين حيث لم يعد بمقدورها ان تخفي عنه شيئا . امسك بذقنها ورفعه لأعلى وقال لها بلهجة متوحشة :

- حاولي أن تبعديني يا حبيبتي !

همست في صوت حالم .

- افضل أن احتفظ بك . وانت ؟

- اوه طبعا . طبعا يا حبيبتي .

الفصل العاشر

ارتدت "دانيال" ثوبها الكاكي واخذت تراقب تحميل السيارة "الميني باس" وهي تشعر ببعض الخوف بعد أن تصارع الأطفال للحصول على افضل اماكن استقروا داخلها . لم تستطع ان ترى من "تانيا" إلا ظلا في ركن السيارة .

اخفت شجرة "مانوليا" ضخمة جزءا منها ومن قبعتها ذات الحافة العريضة . كانت تبدو غامضة لدرجة تشكك في نياتها الأمينة فقررت "دانيال" أن تراقبها عن قرب قبل الرحيل .

اما "اميرواز" فقد وضع عصابة على إحدى عينيه وبدا كالقرصان وجلس في الركن المقابل لأخته .

احتل "چيرمي" و"چولي" الأريكة الخلفية و"چيرمي" يحاول في هذه اللحظة أن يمرر أخته من النافذة ؛ رأسها اولا ثم بقية جسدها . امرته "دانيال" التي خرجت من المنزل و"كاميل" تحت إحدى ذراعيها تحمل مهدا على شكل حقيبة . صاحت :

- "چيرمي" ! اسحب أختك للداخل وتصرف برزانة .

كان المنظر عبارة عن لوحة غير متناسقة . قالت :

www.rewity.com مـــرويـــة

- إنني قلقة قليلا . هل انت واثق باننا نستطيع ان نقوم بالرحلة ؟

بدت نظرة "ريمي" حارقة اكثر من شمس الصيف .

- طبعا ! يمكننا ان نلغي هذه الرحلة الصغيرة ونحبس انفسنا في البيت !

- ليس هذا ما قصدته .

حاولت ان تفرد الشريط الأصفر المكرمش الذي وضعته في شعر "كاميل" الأحمر التي أطلقت بعض الأصوات المجهولة وتقيأت فوق ثوب "دانيال" . كان مزاج "دانيال" رائقا فلن تتاثر ببعض اللعاب من فم الصغيرة "كاميل" واكتفت بان أخذت فوطة من الحقيبة ومسحت اللعاب . ظهر شبح "بتلر" المنحني على الباب وقال بصوت متماوت مصحوبا بخلفيته المعتادة من تكشيرات الآلام:

- انا آسف لأنني لم أستطع أن اصحبكم .

قالت "دانيال" وهي تنظر في شك إلى بنطلون "الجولف" الذي حل محل الروب "دي شامبر" .

- ونحن كذلك . إنني أتساءل : إن كانت نزهة بسيطة لن تضرك؟

قال "ريمي" منفجرا :

- طبعا لن تضره .. إنها راحة واسترخاء .

قال "بتلر" وهو يتمنى لهم عودة حميدة :

- هذا صحيح .. على كل أرجو ان تقضي يوما جميلا .

ثبتا الطفلة في مقعدها الصغير في السيارة ثم جلس "ريمي" امام عجلة القيادة بعد أن توسلت إليه "تانيا" أولا ان يزيل بقعة لا تتجاوز سنتيمترا باللون الأحمر خلف مقعدها . انتظر "اميرواز" حتى دخلوا الطريق السريع ليعلن انه يرغب في قضاء حاجته واضطروا للوقوف مرة ثانية عندما تعارك "چيرمي" و"چولي" في مباراة لمن يبصق ابعد مسافة . واخيرا وصلوا على اية حال إلى حديقة الحيوان .

في هذا اليوم في عز الصيف في حرارة اكثر من استوائية كانت اشعة الشمس تخترق بصعوبة الغمام وبخار الرطوبة الثقيل والذي

تعودت عليه "دانيال" . قبل أن يصلوا إلى حديقة الحيوان ، كانت ملابسها قد تجعدت مثل ملابس باقي أعضاء الرحلة عدا "ريمي" . فقد كان مرتديا قميصا من نوع "برمودا" يصل إلى ركبتيه وهو مفتوح حتى منتصف صدره مظهرا بشرته البرونزية ، وكان يبدو نضرا وجذابا ...

تلاقت أنظاره مع انظار "دانيال" ووجه لها ابتسامة ودودا جعلتها تحس بالدفء وردت ابتسامته بابتسامة مراهقة تعاني مشاعر الحب الأولية .

كان مشهد الأمس قد جعلها تحس بانها مليئة بالحياة الجديدة ومستعدة لمقابلة كل التحديات بما فيها اصطحاب ابناء أختها إلى حديقة الحيوان . لقد أكد لها "ريمي" مقدرتها على إقامة علاقات متينة مع الأطفال ، وقررت ان تسترخي وألا تجعل من القليل كثيرا كما نصحها وهو الخبير في كل شيء . تنزهوا في طرقات الحديقة معا" حسب أوامر "ريمي" .

كانت "تانيا" على بعد مترين في المقدمة حتى لا تشعر بالعار إذا ما اعتبرت ضمن الصغار ، بينما أخذ "ريمي" يدفع عربة الطفلة وامسكت "دانيال" "اميرواز" في يدها . أصر "ريمي" على أن تلتقط "دانيال" صورا للجميع . ولأول مرة منذ سنة رفعت "دانيال" الحظر الذي فرضته على تصوير الناس .

بدأت التصوير على مهل ثم تحولت إلى غول وهي تلتقط الصور بسرعة البندقية الآلية وكانها أصيبت بالجنون ، وفي منتصف النهار كانت قد استخدمت خمسة أفلام كاملة .

في الوقت الذي كانوا فيه يعجبون بمشاهدة طيور "الفلامنجو" الوردية والنمور والأسود . انطلقت هي على سجيتها لترى الأشياء حسب خيالها الفني . وتظاهرت بان "ريمي" والأطفال وهي يشكلون أسرة . طبعا هذا كان من باب الفضول لا غير حيث إنها لا تنوي على الإطلاق أن تتزوج وأن ترزق باطفال .. كم هذا الخيال ممتع !

لم يمر النهار دون حوادث صغيرة . حاول "چيرمي" اللعب مع الثعابين ، ودخلت "چولي" في جبلاية مخصصة للقرود من فتحة في السور ، وحاول "اميرواز" أن يفلت منهم حتى يذهب إلى بحيرة التماسيح .

# # #

سالها "ريمي" عندما استقرا فوق الأرجوحة بعد العشاء :

- هل حقا ذهبت إلى كل الأماكن التي رويتها للأطفال هذا المساء ؟

كان جميع الأطفال قد اكلوا واستحموا ووضعوا في الفراش مع حيواناتهم المصنوعة من القطيفة والتي اشترتها لهم "دانيال" من حديقة الحيوان .

كان "بتلر" قد انضم إليهم على العشاء وقد لوحته الشمس وكانه قضى كل نهاره يمارس الرياضة في الهواء الطلق وبعد العشاء انسحب لحجرته .

كان الصمت سائدا لا يقطعه سوى صوت الحشرات القادم من شجرة في بيت مجاور يسوده السكون ، كان الجو لايزال رطبا ولزجا ومعبا بعطر الورد و"المانوليا" . قالت "دانيال" وهي تتثاءب كي ترد على سؤاله:

- نعم لقد طفت بالعالم .

كانت تتكلم بكل بساطة وكان كل الناس يفعلون مثلها وهذا ما جعل "ريمي" يهتز الن تبدأ في تقليل رحلاتها ؟ إن صدى الحديث السابق لايزال يقلقها . لقد قالت له : إنها تعشق الطواف بالعالم واكتشاف اماكن واناس غير معروفين .

سرت فيها رجفة باردة رغم الحرارة الخانقة .

قال في نفسه : آه لو استطاع أن يبقيها بسهولة . إن الأسورة الذهبية التي تلتف حول معصميها كانت تلمع وكانها شعر ملاك . وودّ لو استخدمها في ربط قلبه بقلبها . إنه يحبها دون أن يستطيع أن يحدد اللحظة التي بدأ فيها هذا الحب .. هل عندما اثارت مشاعره

وهي تبكي ؟ أم عندما لاحظها وهي تراقب الطفلة وهي نائمة ؟ أم عندما انصتت وهي شاردة إلى "اميرواز" وهو يقص عليها أن كلبه القطيفة لا يستطيع أن ينام ؟ والحقيقة المؤكدة الوحيدة هي انه اثناء نزهتهما في حديقة الحيوان عرف انها تحبه . ولكن هذه الحقيقة افزعته .

لقد ظل طوال حياته ينتظر أن يقع في حب فتاة من "لويزيانا" من نفس مستواه وتشاركه قناعاته ولكن حبه لهذه المرأة التي تشبه المجندات في الجيش الأمريكي ذات الساقين الطويلتين والعطشى دائما للمغامرات ... هذا الحب يخيفه .

ماذا سيفعل ؟ وكيف سيكون رد فعل "دانيال" التي تعتبر الصلات العاطفية شيئا يستحق السخرية لو كلمها في ذلك ؟ سالها:

- ماذا ستكون وجهتك القادمة ؟

ترددت "دانيال" . إنها لا ترغب في ترك "نيو اورليانز" بسرعة لأنه في اليومين الأخيرين تغير كل شيء : وضعها وعواطفها وهي نفسها . قالت :

- لست أدري !

قالت في نفسها : "لو طلب مني لمكثت هنا" .. ولكن ما هذه الحماقة . إن كليهما يعلم أن هذه المتعة العاطفية بينهما لن تستمر . كيف تتوقع مستقبلا لها مع صديقها الصغير ؟ سالها "ريمي" :

- هل ذهبت إلى روافد النهر الأسود ؟

تساءل ماذا سيخسر لو صحبها إلى روافد النهر الأسود ؟ وقد تجد منزلا ينسيها الأماكن الغريبة غير المالوفة والتي تسعى وراءها.

أجابت وهي ترفع نحوه عينيها الفضيتين :

- لا .. هل تصحبني إليها ؟

- نعم .

تضخم الأمل داخله ودفع مخاوفه جانبا . ود لو تفهم أن حبه لها عميق حتى دون كلام .

سالها :

- هل قضيت نهارا طيبا ؟

اعترفت :

- رائع .. شكرا !

ليست في حاجة لأن تحدد السبب . لقد ساعدها في الخروج أخيرا من عزلتها التي فرضتها على نفسها وكان يكفي "ريمي" أن ينظر إليها طوال النهار في صمت وهي تصور الأطفال وهم في سبيلهم لاستكشاف حديقة الحيوان .

أحس بالسعادة .

همس في أذنها :

- أنت جميلة يا "دانيال" وحيوية ودءوب ولا يجب أن يحرم العالم منك .

- أترى .. أن الغرور والأنانية هما أنا ..

- ولكن لا ..

صمتا ولم يعد هناك داع لأي تفسير . إن "دانيال" ستحتفظ في قلبها بمكان خاص لـ"ريمي" ذلك الرجل الذي شفاها من جرح كان من الممكن أن يحطم حياتها . إنها لم تنس أحداث "لندن" ولن تنساها أبدا ولكنها لن تمرضها كالسرطان الذي ياكل الجسم يوما بعد يوم .

أطلقت زفرة :

- أعتقد أن علينا أن نرتاح استعدادا للمؤامرات الشيطانية التي يدبرها "چيرمي" للغير .

- هل ستنامين ؟

- وأنت ؟

نظر إليها نظرة عميقة قبل أن يقول :

- أعتقد أنني ساخذ دشا قبل أن أنام .

- وهل أنت في حاجة لمساعدة يا عزيزي .

الفصل الحادي عشر

قال "چيرمي" بين ملعقتين من الطعام:

- سالف العالم كله مثلك يا خالة "دانيال" وسابحث عن الحيوانات الغريبة في كل مكان وأصطادها مثل بطل حلقات "المملكة البرية" في التليفزيون.

أضاء وجه "دانيال" من السعادة. لقد نجحت أخيرا في أن تقرب منها أبناء أختها عن طريق الحكايات والمغامرات التي قامت بها.

كان شارب أبيض من اللبن يزين شفته العليا.

قالت "چولي":

- أوه... نعم.. وساتبعه إلى كل مكان وسالتقط صورا وسنذهب إلى "أمريكا" وإلى "بورنيو" وسيطلق علينا رجال اسهما كما يحدث في "إنديانا جونز".

أعلن "أميرواز" وخداه أحمران من الإثارة:

- وأنا ساكون عامل نظافة.

انطلق الجميع في الضحك وعندما زاد "چيرمي" وأخته عن حدهما أوقفهما قائلا:

- دعوه في حاله.. لا ضرر في أن يكون عامل نظافة .

تبادل كل من "چيرمي" و"چولي" نظرة اتفاق على خطة معينة وتركا المكان قبل أن يغضبا مربيتهما واخوهما الصغير في اعقابهما. وعندما اغلق الباب خلفهما عاد انتباه "دانيال" إلى "ريمي" الذي كان يتامل قدح قهوته في غضب قال:

- لقد عملت عامل نظافة في الصيف اثناء دراستي ولم ار عجائب الدنيا مثلك وتقريبا لم اغادر "نيواورليانز" .

نهض من فوق مقعده في ضجة كي يذهب ليعنى بـ"كاميل" ورفعت "دانيال" حاجبيها تعجبا. إن تفسير مزاج "ريمي" يكمن في هذا إذن.

من يومين منذ نزهتهما في حديقة الحيوان كان غريب الأطوار لم يكف "چيرمي" و"چولي" عن أن يطلبا منها باستمرار أن تقص عليهما عن رحلاتها وكانت تنفذ رغبتهما في حماس ولكنها لم تفكر أن "ريمي" كان يخرج عن شعوره وهو ما كان يحدث كثيرا. استطاع أخيرا أن يهدأ وإن بدا شاردا في معظم الليالي وكانما يريد أن يقنعها بشيء لا يجيد التعبير عنه ، لقد احست معه بمشاعر لم تقراها في كتب ، وكم كان غريبا أن تحصل على ما كانت تعتبره مستحيلا وهو الحب. تحسست جبهتها بكفها لتتاكد من انها لا تعاني الحمى. لا يمكن أن يكون ما تحسه هو الحب.. لا يمكن أن تكون وقعت في حبه.

القت نظرة في اتجاه "ريمي" الذي حاول أن ينزع حبوب الطعام الملتصقة بشعر "كاميل" فاحست بان قلبها يقفز قفزة قاتلة في صدرها.

وعندما استدار "ريمي" و"كاميل" تحت ذراعه كالكرة فاجا "دانيال" وعلى وجهها تعبير الإرهاق . سالها:

- الا تسير الأمور جيدا؟

- بلى... بلى.

- اعذريني يا أرنبتي الصغيرة على غضبي ولكني كنت اخشى أن تحتقريني لانني عملت عامل نظافة.

لم يكن تفسيره صادقا إلا في جزء. إن ما يضايق "ريمي" حقا هو مزاج "دانيال" نحو الرحلات. إنه لم يغادر "لويزيانا" إلا مرة واحدة ولكن حنينه للوطن أجبره على ترك وظيفته ليعود.

إنه لا يتحمل لا فكرة الرحيل ولا فكرة أن يدع "دانيال" ترحل بدونه. وبالتالي إذا لم يصل إلى إقناعها بالبقاء فإنه خسر المعركة قبل أن تبدأ .

قالت:

- إنني اعتبرك تستحق ميدالية. كناس في "نيو أورليانز" في عز الصيف! أتدري! ليس لانني امتلك بعض المال فإنني لا اعتبر نفسي متحذلقة.

- متحذلقة؟ إلى هذه الدرجة؟ اتقولينها لي الليلة؟

تاملت "دانيال" "ريمي" وقد وسد "كاميل" على فخذه وهو يلاعبها. قالت تساله:

- اتظن حقا انه يحب تنظيف الطفل في حوض الصحون؟

- بالتاكيد وهو عملي أكثر من "البانيو".

- لقد حصلت فعلا على شيء من "چيرمي" قبل زيارتنا لحديقة الحيوان فإنه لم يكف عن الحديث عن ممر سري في قبو البنك لسرقته. ولكنه الآن كف عن ذلك وبدا الحديث عن الفضاء.

- لقد بدات فعلا تحبين هذا الصبي.. أليس كذلك؟

- اطمئن فإن ذلك لن يستمر.

تمنى "ريمي" في نفسه أن يستمر "چيرمي" في هذا التغيير في السلوك، بل إنه يقسم على ذلك.

ركب الجميع "الميني باص" لزيارة رواقد "نيو أورليانز" وعندما بدات المدينة تختفي خلفهم توغلوا في منطقة مستنقعات تمر وسط سهل تناثرت فوقه مصانع للمنتجات الكيميائية حيث كانت مداخنها ترتفع نحو السماء كعلامات التعجب.

ثم عبروا مزارع الأرز وقصب السكر ثم صعدوا طريقا سريعا يمتد كيلو مترات. بدا وكانه راية ترفرف أعلى صارية فوق مساحات ممتدة إلى ما لا نهاية من العشب المتماوج.

لاحظوا بين مجموعات أشجار البلوط والسرو بعض ممرات الروافد التي حفرت وسط الأرض وكانها بقع من الحبر.

سجلت "دانيال" كل شيء . كعادتها عندما تكتشف مكانا جديدا وكان

(٨)

"ريمي" يراقبها من طرف عينه وهو يكتم انفاسه حتى لا يكون رد فعله سلبيا.

إنه على استعداد للتنازل عن كل شيء في سبيل أن تحب وطنها الام وأن تتلقى حكمه بعاطفة جامحة.

فجاة استدارت نحوه وابتسمت له ابتسامة وضاءة وقالت بصوت حلو:

- إن كل شيء جميل يا "ريمي".

كانت كل محابس عواطفه قد انفتحت واجتاحه شعور بالارتياح والخلاص.

كانت مدينة "لاك" تقع فوق متاهة صغيرة وكان شارعها الرئيسي تحتله الحوانيت العادية مثل بقالة وخردوات حيث زينت واجهات عرضها بإعلان قديم عن البسكويت وجزارة تعلوها لافتة تقول "هنا نتحدث الفرنسية".

كانت "لاك" مهلهلة وفقيرة مثل بقية المدن الصغيرة في العالم ، ووقعت "دانيال" في حبها من أول نظرة. كانت تتحرق رغبة في الإمساك بالتها الفوتوغرافية كي تصور إعلان المطعم الذي يقول: "هنا سجق وشراب" والعجائز الثلاثة الذين يحاولون استعادة الماضي وهم جالسون فوق اريكة خشبية ، وشابة تخرج من "صالون إيفيت" للحلاقة وقد علت راسها تسريحة دائمة جديدة.

دخلوا بعد ذلك في شارع مواز للرافد الأسود وهو عبارة عن شريط من الماء الموحل اسود كما يحمل اسمه. وكان آخر بيت في الشارع يقع على بعد مائة متر تقريبا من النهر وهو ملك والدي "ريمي" . كان عبارة عن ضيعة جميلة من الطوب الأحمر له شرفة حول كل الواجهة تظللها شجرة بلوط ضخمة ويتدلى منها زهور إسبانية.

خرجت "نويل دوسيه" إلى الشرفة وهي تمسح يديها في مريلتها واستقبلتهم جميعا بالقبلات والتحيات وكانهم جزء من عائلتها. كانت قصيرة ومستديرة كالكرة وعيناها حيويتان سوداوان ويفوح منها رائحة الخبز الطازج المغري. سالها "ريمي" بعد أن قبلها وتبادل معها بعض الكلمات الاسكتلندية:

- أين أبي؟

- لقد خرج ليبحث عن بعض قطع الغيار لسفينته من عند "لويس" سيعود إلى هنا للعشاء. إن هذا الرجل لم أره مرة يتاخر عن الطعام.

احتضنها "ريمي" بقوة بين ذراعيه مما جعلها تنفجر ضاحكة وكانها فتاة في العشرين من عمرها. راقبتهما "دانيال" وهي سعيدة وقلقة في آن واحد.

لقد بدا عليه الشباب بشدة. قال الصبي الكبير - الذي له عيناه سوداوان - وأخذ يعاكس أمه ويسالها:

- ماذا أعددت لنا على العشاء يا أمي ؟ هل أعددت أطباقي المفضلة؟

أجابت السيدة العجوز قبل أن تهمس في أذنه ما جعل وجهه يحمر:

- انا أعددت لك مفاجاة

قال "ريمي" لـ"دانيال" أثناء تعارف أمه على الأولاد و"بتلر".

- إنها تسال عما إذا كنت عروسي المستقبلية!

ظلت "دانيال" صامتة من الدهشة، وأحست بالخجل . صارت حدقتا "ريمي" في سواد الحبر وهمس:

- لقد احمر وجهك يا ملاكي.

زمجرت:

- ولكن لا.. إنها الحرارة الخانقة، أو ربما من علامات سن اليأس.

تلقى "ريمي" ملاحظتها بضحكة فقالت:

- إننا سنغضب والديك يا "ريمي".

كان البيت يبدو مريحا ولكنه ليس من الاتساع بحيث يضمهم جميعا ، وخشيت "دانيال" من الخسائر التي يمكن أن يحدثها الأطفال. قالت وهي تشير إلى الرافد:

- يمكننا أن نقيم في الفندق هناك.. إنها مثل المركب.

- أتقصدين السفينة يا عزيزتي؟ نعم هي سفينة.

ذهبا لاستكشاف مقر إقامتهم المنتظر تاركين لـ"نويل" متعة تقديم الفطائر من صنعها ، عصير الليمون للأطفال وولـ"بتلر" مهمة رعاية الطفلة. لوح لهم الأخير بيده وهو يبتسم ابتسامة ماكرة.

همست "دانيال":

- لقد غير رايه فيك.

سارا في الطريق الضيق المغطى بالمحار والودع والذي يؤدي إلى الرافد وابتسم "ريمي" في داخله على التحالف الذي عقده مع العجوز الاسكتلندي :

- أوه! يكفيه أن يعرفني على حقيقتي. إن من يعرفني يحبني.

كان فندق "دوسيه" كما سماه "ريمي" عبارة عن سفينة كبيرة تحولت إلى بيت عائم وفي الأصل كانت ملك أجداده الأولين ، واستخدمت بعد ذلك باستمرار كملجا للضيوف عندما يفيض البيت بقاطنيه، بني فوق السطح مبنى من الخشب مسقوف بجذوع أشجار الأرز ولم تكن الفتحات المخصصة للنوافذ مغطاة بالزجاج وإنما بالستائر ، وتطل على شرفة تسمح بمرور النسيم وتمنع مرور الناموس. وكان المبنى مكونا من حجرتين على مستويين وكل منهما تحتل المساحة المتاحة وكان جسد السفينة مغطى كله بالنجيل الأخضر وبراميل كبيرة لحفظ السوائل مقطوعة إلى جزءين استخدمت كاصص للزهور مثل "البتونيا" و"الجيرانيوم" بالوانها المبهرة. وفي ركن يوجد قفص للعصافير معلق على جذع شجرة ويظن المرء انه في ملعب جولف مصغر وهو يتميز بالخصوصية والترحيب. صاحت "دانيال" :

- إن الأطفال سيعشقون هذا.

قادها إلى مقدمة السفينة وهو يقول :

- أعرف أنك حزينة يا أرنبتي الصغيرة ولا تمتعضي ويمكنك أن تعيشي يومين بدوني.

نظرت إليه "دانيال" نظرة سوداء.

- طبعا! لقد عشت أربعين سنة وتسعة أيام بدونك وساتحمل ليلتين أخريين دون عناء .

- ولكنك لم تقولي هذا مؤخرا.

- هذا غير صحيح على أية حال فإن كلام المرأة وقت العاطفة لا يمكن أن يؤخذ قرينة ضدها.

قال لها:

- لقد رتبت أن نخرج بمفردنا غدا في جولة.

- والأطفال.

- إنه يوم عطلة المربية وقد وافق والداي أن يرعيانهم من أجلي.

نظرت إليه في شك:

- هذا إذا كانا سيعيشان. وحتى لو عاشا فإن الجحيم سيكون أرحم من الحياة مع تلك العائلة الجهنمية.

كانت في هذه اللحظات قد نسيت كل مخاوفها السابقة ووجدت أنه من الطبيعي أن تقع في حبه بجنون . نظرت "دانيال" نظرة قلق على بيت "دوسيه" من بعيد وقد برز وسط الأحراش. سالته:

- هل أنت واثق بان كل شيء على ما يرام؟ إنني أشعر بانني حزينة.

صاح "ريمي":

- كفي عن القلق الذي تخلقينه لنفسك. إن والدي يحبان أن يحاطا بالأولاد وسيعتني والدي بـ"چيرمي" و"چولي" وامي بالطفلة و"بتلر" بالاثنين الباقيين. استفيدي من نزهتنا يا عزيزتي. لماذا لا تعجبك فكرة الحياة وسط المستنقعات؟

حبس "ريمي" انفاسه. وكيف يامل أن امراة راقية مثل "دانيال" تقبل الحياة وسط الأحراش فوق سطح سفينة خرجت من الخدمة لقدمها؟

احتجت "دانيال":

- لا على الإطلاق. إن هذه المستنقعات لا تسبب لي أي خوف على الإطلاق. لقد احضرت تسعة أفلام جديدة ولم أتوصل إلى تصوير تمساح واحد في حجم مخيف. واعتبرك مسؤولا عن هذا!

محت ابتسامة "ريمي" القتامة التي سادت وجهها كما تضيء أشعة الشمس وهي تخرج من بين الضباب والسحاب. وأحست "دانيال" بان قلبها يقفز في صدرها ، ردت على ابتسامته بمثلها ثم ابتعدا عن "لاك" وعن السفينة أي البيت، وصعدا الرافد الأسود كي يتوغلا في عالم بري من المستنقعات وأشجار السرو.

وعندما توغلا كثيرا في هذه المناطق أبطل "ريمي" محرك القارب وساد السكون الذي تتخلله أصوات الطبيعة من : صياح نسر حاد ورفرفة اجنحة طائر "البلاشون" وصوت تحرك الماء من حيوان قريب

من الشاطئ أو صوت تمساح رهيب عن بعد.

صاحت "دانيال" وقد بلغت إثارتها حدا لا يوصف.

- هذا شيء رائع ومثير للإعجاب.. إنه يشبه الأمازون ونهر النيل.. إنه شيء خرافي!

احمرت وجنتاها من الإثارة تحت أشعة الشمس وأخذت تلهث وصدرها يرتفع وينخفض مع ازدياد سرعة التنفس. وسرعة إثارتها. وانتقلت العدوى إلى "ريمي". أخذ يجدف ببراعة لأنه قد عاش فوق الماء طوال حياته.

جلست بجواره على نفس اللوح الخشبي في منتصف القارب وعندما رفعت عينيها نحوه هب نسيم فأطار شعرها المشوب بالشيب وسقطت خصلة منه فوق فكها. كان باقي الشعر مربوطا خلف رقبتها على شكل ذيل الحصان غير أن إحدى الخصلات افلتت لذا رفعها "ريمي" بأصابعه إلى الخلف. تاهت "دانيال" في عينيه ولم تحس بانها توقفت عن التنفس إلا عندما انتفخت رئتاها وبدأتا تؤلمانها.

قالت:

- ماذا يحدث لو وقعنا من القارب داخل فك تمساح جائع؟

- لماذا لا تثقين بي يا ملاكي؟

سحقت "دانيال" ناموسة عملاقة فوق صدرها:

- يبدو أن الحشرات ستلتهمني وأنا حية. إنها من الضخامة بحيث تجاوز حجم حاملات الطائرات.

- انتظري حتى ترى الثعابين!

أخرج علبة كوكا كولا من الثلاجة الصغيرة التي أحضرها معه. قالت:

- إنني لا أظن أنني رأيت أجمل من هذه المناظر البدائية . كم هو رائع ما نراه ونحسه !!

أخذ قلب "ريمي" يرقص بين جانبيه.

- نعم إنه رائع!!

الفصل الثاني عشر

كان مقهى ومطعم "رينارد" على شاطئ الرافد وليس بعيدا عن المنزل، وكان واقعا على حافة الغابة وهو عبارة عن مبنى فسيح من الخشب مقام على أعمدة. كانت سيارات الزبائن تملأ ساحة الانتظار.

ترددت "دانيال" لحظة الدخول وأحست بانها بلهاء. كانت قد ارتدت ملابس للخروج من : بلوزة من الحرير الأرجواني، وچيب مناسب من الهند بلون التركواز وفوشيا. كانت كلما أضافت عنصرا جديدا إلى زينتها كان حماسها للخروج يبرد. وفي اللحظة التي لبست الحلق الذهبي في اذنيها فضلت لو انزلقت تحت السرير واختفت تحته.

إن هذه الصفحة من حياتها على وشك ان تُقلب ، لقد بلغت الأربعين من عمرها. كانت الشمس قد حولت وجهها إلى اللون الوردي وأظهرت التجاعيد القليلة والتي من المفروض ان تختفي حسب الإعلان عن الكريم المعجزة الذي استخدمته دون نتيجة.

كانت عينها الفنية الدقيقة قد فحصت كل جزء من جسدها وتأكدت من ان بشائر علامات الشيخوخة بدأت تزحف. لم تعد تشك في انها أصبحت امرأة عجوزا في سن الأربعين تستعد للخروج بارتداء ملابس

www.rewity.com

الخروج مع شاب خرج لتوه من سن المراهقة.

قال "ريمي" بصوته العفوي:

- هيا يا "دانيال" هذه اول مرة ساقدم لك فيها وجبة جيدة ! وبهذا تغيرين من اكل الأطفال.

وجهت له نظرة تائهة وقد حولت رأسها جانبا. أراد ان يتاكد من انها مقتنعة. قالت:

- حسنا.. موافقة!

أطلق "ريمي" زفرة ارتياح وامسك بذراعها وجعلها تصعد الدرجات المؤدية للمطعم وعندما انغلق الباب وراءهما عرفت في الحال ان حاستها لم تخدعها ، أحست بأن شعر رأسها يقف و"ريمي" يقودها إلى صف طويل من الموائد مرصوصة عند الجدار الداخلي.

صاح "اميرواز" الذي ظهر فجاة كالشيطان وصافحها:

- عيد ميلاد سعيد يا خالة "دانيال"!

اخذ "چيرمي" و"تانيا" و"چولي" وعدد لا يحصى من الأطفال لم يسبق لها أن رأتهم في حياتها - اخذوا يصفرون بكل ما في رئاتهم من قوة مما استرعى انتباه كل الحضور.

كان "بتلر" ووالدا "ريمي" ونصف دستة من البالغين لا تعرفهم جالسين أمام المائدة على استعداد للاحتفال بعيد ميلادها الذي فضلت أن تنساه.

سالت "دانيال" "ريمي" بصوت بارد كالثلج حتى لا تنفجر غضبا:

- هل أخبرت الجميع أن اليوم عيد ميلادي؟

حدجها "ريمي" بإحدى نظراته المليئة بالمراهنة:

- لم اقل لهم محددا أي عيد ميلاد !

وجهت "دانيال" ابتسامة مصطنعة للمدعوين، واشارت إليهم بما معناه انهما سياتيان حالا ثم استدارت نحو "ريمي" وقالت:

- خسارة أن تموت صغيرا!

- هيا يا ارنبتي الصغيرة! إنهم يريدون فقط أن يمرحوا معك وهم

سعداء لانك هنا اليوم. اما بالنسبة لي فلا داعي للحديث عن ذلك. فإن عدد شمعات التورتة لا يهمني.

اوشكت "دانيال" أن تفقد الوعي.

- لا تقل لي: إن هناك تورتة وشموعا.

- لا.. إن رجل المطافئ المسؤول لم يسمح بذلك.

انتزع هذا التعليق الساخر ما يشبه الابتسامة منها .إن هؤلاء الناس جميعهم لطيف: لانه حضر ويبدو أن الأطفال يسبحون مع الملائكة من السعادة.

انقبض حلقها عندما تذكرت عيد ميلادها السابق الذي قضته في "التبت" بصحبة جدي ورداء "الباك" الذي يشبه الخيمة.

سالها "اميرواز" الذي امسك بيدها ليقودها نحو مكان الشرف:

- كم عمرك يا خالة "دانيال"؟

كذبت عليه:

- تسعة وثلاثون عاما.

انتقلت بعد ذلك إلى عملية التقديم. كانت هناك "اليشيا" الأخت الكبرى لـ"ريمي" وزوجها وابناؤها الثلاثة. واخته الصغرى "اريك" التي كانت تشبه بدرجة مدهشة الكاهنة الروحية التي حضرت لعلاج "بتلر"، والعم "جان" والعمة "فانشون" وهما زوجان في الستينيات من عمرهما.

هناك ايضا "جيزيل" الأخت التوءم لـ"ريمي" وزوجها وابناها التوءمان. ولم يلب الدعوة الأخ الأصغر "اندريه" والأخ الأكبر "اتيان" المعروف اكثر باسم "لاكي".

بسرعة انهمك الجميع في احاديث حيوية ورات "دانيال" أن آل "دوسيه" ينتهزون اي فرصة ليجتمعوا ويتمتعوا وهم يفعلون ذلك دون تكلف. وبعد بضع دقائق لم يعد أحد يتحدث عن عيد ميلادها.

اجتاحها كل انواع الانفعالات والأحاسيس وراقبت "دانيال" اخوات "ريمي". كانت اصغرهن ليس لديها أطفال وقد التصقت في الحال

بـ"كاميل" وتبنت العناية بها وقد اظهرت الطفلة سعادتها بذلك . اما بالنسبة لـ"ريمي" فقد خفف من حدة هروبهما وسط المستنقعات .

فجاة جاء "چيرمي" ليشدها من ذراعها وهو يقول :

- لن تخمني يا خالة "دانيال" - ابدا - ما رايناه اليوم انا و"چولي" !

سالته بصوت شارد :

- ماذا ؟

- لقد ذهبنا إلى الغابة وجعلنا بابا "دوسيه" نرى كل انواع الحيوانات .

- حيوانات يا "چيرمي" ؟

- حيوانات و ...

- هذا رائع يا عزيزي ولكن يجب ان تعود إلى مقعدك فإنهم سيقدمون الطعام .

- نعم .. ولكنني أود ان أوضح لك .

- فيما بعد .. موافق ؟

عاد الصبي الصغير إلى مقعده وهو يزفر في ضيق . كان عبير الطعام في المطعم رائعا ، وكان آل "دوسيه" يعرفون كل الساقيات والخدم باسمائهم المجردة ويسالونهم عن احوالهم بلهجتهم الحلوة.

كان الطبق الرئيسي المملوء حتى حافته تتصاعد منه الأبخرة التي سحرت "دانيال" بالفواكه البحرية . كان "ريمي" قد علمها كيف تستطعم الحيوانات القشرية من نوع "الجندوفلي" و"الجمبري" الصغير ، وعلمها كيف تقشرها لتخرج اللحم الأبيض اللذيذ .

قال لها وهو يغمز لها بعينه :

- وإذا كنت اسكتلندية حقا فإنك ستمصين الرأس .

- اللعنة !

- كيف يمكنني أن أحولك إلى العادات الاسكتلندية ؟

- لن أستطيع أن أصل إلى هذا الحد . لقد اكلت كميات رهيبة من أشياء غريبة في عدد لا يحصى من الأماكن ولكن هناك حدودا لكل شيء.

عندما ذكرته بحياتها الجوالة شعر بعدم الارتياح خاصة في اللحظة

التي كان سيطلب فيها أن تبقى معه للأبد .

كانت معدته تحرقه وقلبه يدق بشدة عندما سال زوج "اليس" "دانيال" أن تقص لهم عن رحلاتها .

لم يستطع أن يعبس ، ومالت "جيزيل" عليه وهمست في اذنه بكل تفاهم الأخت التوءم :

- هل انت عاشق لها ؟

همهم :

- نعم !

- في هذه الحالة فإنني اسامحك لاستغلالك اسم وكالتي .

قال وهو يشعر بالمهانة :

- ولكني سائبت لك انني مربية ممتازة ومقدسة . تصوري انني استطعت أن أحرس ذلك المكان .

ابتسمت له "جيزيل" ثم القت نظرة على "دانيال" :

- إنها ساحرة .. إنها تحبك ايضا .. اليس كذلك ؟

- لنتعشم ذلك ..

طبعت "جيزيل" ابتسامة على خد توءمها وعيناها السوداوان الواسعتان ممتلئتان بالحنان .

مرت ثانية واحدة اجتاحهما معا شعور بعدم الاطمئنان ثم قالت له مؤكدة :

- مسكينة "دانيال" ، إنها لا تتحمل مواجهة سحرك . إنها ستصبح من آل "دوسيه" دون أن تشعر وانا متاكدة من ذلك .

همس :

- أتعشم أن يكون ما تقولينه حقيقة .

ومع ذلك امتلأ قلبها بالخوف عندما وجهت انتباهها إلى "دانيال" التي كانت تقص واحدة من رحلاتها إلى "زائير" . كانت تشتعل عاطفة وهي تذكر تلك الأماكن البعيدة .

كيف يمكن أن تامل أن تترك "دانيال" كل هذا وتلقي بمرساتها إلى جوار الروافد ؟

قامت الساقيات الظريفات برفع المائدة وجلس الموسيقيون فوق

المسرح عند الطرف الآخر من القاعة .

أخذت الحمى تسري في كل المدعوين الذين أخذوا يدقون الأرض بأقدامهم ويصفرون لحن "لنذهب إلى لافاييت" . فرغت نصف الموائد من شاغليها الذين تفرقوا فوق الحلبة . بدأت "دانيال" تحب الألحان المرحة للأغاني الفرنسية القديمة والتي كان يلحنها من كل قلبه عازف الأكورديون . بينما باقي الرباعي يعزفون على آلاتهم بحماس شديد .

كان من المستحيل ألا تتابع النغم ووجدت "دانيال" نفسها وقد جرفها الجو المرح في هذا المكان غير المألوف .. لقد وقعت في حب "لويزيانا" وسكانها وثقافتها وموسيقاها ومناظرها الطبيعية . ولأول مرة في حياتها بدأت تنمي حلمها في أن تستقر في مكان ما وهو ما يخيفها .

حلت رقصة شعبية قديمة محل رقصة الفالس الهادئة . نهض "ريمي" ومد لها يده :

- هيا بنا نرقص يا أرنبتي الصغيرة .

لقد رقصت "دانيال" مع أمراء وصعاليك ، ولكن ذكرياتهم تتلاشى عندما ترقص بين ذراعي "ريمي" . كان لا يترك أبدا عينيها بعينيه السوداوين وجعلها تدور حول الحلبة برشاقة وليونة ولا يستطيع أي معلم رقص أن يعلمها مثله .

كانت مذهولة وأحست بأن قلبها ينبض بعدم انتظام . إن رقصة الفالس أصبحت موضة قديمة ورتيبة ، ولكنها معه كانت تستطيع أن ترقص أسرع الألحان حتى ولو كان "لامبادا" .

فجأة عادت لها مخاوفها . إن المنطق يقول : إن من الواجب على "ريمي" أن يطارد بسحره فتاة متقاربة معه في السن مثل تلك السمراء التي ترقص في ركن مع بنات إخوتها الصغيرات .. تلك الحسناء التي انسدل شعرها على شكل ضفيرة طويلة لامعة ولينة ولازال خدّاها محتفظين باستدارة الطفولة .

إن الفتاتين الصغيرتين اللتين تهتم هي بهما يبدو عليهما أنهما عاشقتان لتلك الفتاة السمراء كما هي عاشقة لهما .

وعندما توقفت الموسيقى أخذتهما بين ذراعيها وضمتهما بقوة . وعندما رفعت الفتاة رأسها التقت عيناها بعيني "دانيال" التي قرأت

فيهما وميض العداوة .

قال "ريمي" وهو يسحبها إلى الطرف الآخر من الحلبة :

- "دانيال" !

كان سيتحدث معها هناك وفور ، تعارفهما من وقت قليل لا أهمية له وهو واثق بعواطفه :

- مرحبا يا "ريمي" !

أغلق عينيه ربع ثانية وكان ألما شديدا وحادا اخترق نافوخه .

إنها "ماري" .. "ماري بروسار" التي تحبه والتي سماها "ماري التي تريد أن تتزوج" اختارت أسوأ لحظة كي تفسد أمسيته . طلبت منه في لهجة تحد :

- ألا تمنحني رقصة ؟

كان "ريمي" سيلزمها مكانها الصحيح عندما ابتعدت "دانيال" عنه فجأة وقالت له بابتسامة موارية :

- هيا يا "ريمي" . على أية حال فإن التهاب مفاصلي يؤلمني .

انتهزت "ماري" الفرصة كي تتعلق بوحشية بيده وتجبره على أن يتبعها وسط الجمهور الراقص وكأنها قاطرة بخارية تسحب باخرة فوق نهر المسيسبي . لم تتح له سوى ثانية واحدة كي يلقي نظرة شبه ساحرة وشبه لاذعة على "دانيال" قبل أن تختفي عن أنظاره.

كانت "دانيال" تتابع الزوج الراقص من حافة الحلبة بعينيها ورغم العذاب الذي يمثله ذلك فإن الفتاة الشابة ذات الشعر الأسود تناسب تماما "ريمي" . إنها صغيرة وتتمتع بالأنوثة وكانت تتظاهر بأنها عروس بفستانها الأبيض الصيفي وهي ترفع نحوه عينيها المليئتين بالإعجاب والتصميم .

قال "چيرمي" وهو يجرها من طرف الجيب :

- يا خالة "دانيال" ، هل تحبين أن تأتي لتري الآن ؟ إنه فريد لا مثيل له ! وأراهن أنك لم تشاهدي مثله أبدا حتى في إفريقيا .

سألته دون أن تنظر إليه :

- عن أي شيء تتحدث يا "چيرمي" ؟

- هل ستأتين الآن ؟

- أين ؟

- لتري سرنا .

- إن الظلام سائد في الخارج يا "چيرمي" وساحضر لرؤيته غدا . لماذا لم تطلب من "چولي" أن ترقص معك .

نظر إليها "چيرمي" في غيظ وابتعد وهو يزمجر .

تنهدت "دانيال" . لقد نالت فشلا جديدا ولكن حاليا لا تسخر من ذلك.

قالت "جيزيل" التي حلت مكان "چيرمي" بلهجة عدم رضا :

- هذه المدعوة "ماري بروسار" .. لقد ظلت من وقت طويل تغازله وتطارده باقصى ما تستطيع ساقاها محاولة أن تحصره في ركن.

سالتها "دانيال" بصوت تصنعت أن يكون غير مبال :

- هل يعرفان بعضهما بعضا منذ وقت طويل ؟

- منذ الأبد . لقد ذهبا إلى نفس المدرسة . لكن ليس في نفس الفصل.

نظرت "جيزيل" إلى "دانيال" نظرة متفهمة :

- لقد اعتقدنا انها فهمت ولكن لا .. إنها لا تزال تظن أن من الممكن التوسل إلى "ريمي".. هناك حقا اشخاص يحتاجون إلى أن نواجههم بالأمور بوضوح وقوة وان ندخل ذلك في رؤوسهم ولو عن طريق المطرقة .

قالت "دانيال" :

- نعم .. أرجو المعذرة يا "جيزيل" . إنني اعتقد انني ساخرج لاستنشاق بعض الهواء .

سارعت نحو باب الخروج دون أن تنتظر رد "جيزيل" حتى إنها أوشكت أن تتعثر فوق درجات المدخل ، طار صندلها إلى الأرض في ساحة الانتظار وابتعدت نحو الرافد وصندلها يصدر صوتا نتيجة كسره للودع وهي تدوسه في طريقها .

كانت نظراتها شاردة نحو الماء الأسود وأطلقت آهة ألم . لم تعد سوى كتلة من الحيرة والارتباك وكل ذلك بسبب غلطة "سوزانا" . لولا أختها غير الشقيقة لكانت في هذه الساعة تقوم بتصوير جيش من الهنود الحمر أو نمور في البنغال . ولم تكن لتقع عاشقة لرجل أصغر

منها .

- "دانيال" ! هل أنت بخير ؟ ماذا بك ؟

كان صوت "ريمي" المنخفض والدافئ يغطيها بغطاء من صوف الفانيلا في ليلة باردة . أرادت لو تدفن نفسها هناك بعيدا عن العالم .

لما ظلت صامتة فقد اقترب منها "ريمي" وقال :

- لا تغضبي مني لأنني راقصت "ماري" . لقد هجمت علي كالثور الهائج .. من الصعب التخلص من تلك المخلوقة .

أجابت :

- لست غاضبة .. أنت المربية التي تعمل عندي ولست عبدا لي ويمكنك أن ترقص مع من تحب .

أدارها "ريمي" نحوه وراقصها رقصة محمومة على لحن اسكتلندي قديم أخذ يغنيه . قالت له بلهجة جافة :

- عن أي شيء تتحدث هذه الأغنية ؟

- اسالينى كم أحبك يا فتاتي الجميلة .

- كان عليك أن تغنيها لـ"ماري" .

- ليست "ماري" من أحبها وإنما أنت .

أحست "دانيال" بان قلبها يتوقف عن النبض .

كانت تحس بعدم الاتزان ورفعت عينيها إليه لقد نطق بالكلمات التي تمنت أن تسمعها من زمان ، ماذا عليها أن تفعل الآن ؟ أن تكون انانية وتقبل ما يقدمه لها أم تثبت انها نبيلة وترفض الحب من "ريمي" من أجل مصلحته ؟

لقد كان مليحا ورقيقا للغاية . ومعه ستعيش الأشياء وتحسها والتي لم تقرأ عنها في الكتب إلا في مغامرات "كازانوفا" . هل تريد حقا أن تتخلى عنه ؟ لقد قيل لها ذلك وتكرر عليها كثيرا . لا.. إنها ذات طبيعة انانية . فلماذا يتغير ذلك الآن ؟ لماذا لا تترك كل حذر وتدع الأمور تسير على هواها ؟ لماذا لا تقول لـ"ريمي" إنها تحبه ؟

- "ريمي" .. انا ..

- خالة "دانيال" ! خالة "دانيال" .

من فوق كتف "ريمي" رات "دانيال" "چولي" تندفع نحوها بكل ما

تسمح به ساقاها الصغيرتان .

– أسرعي يا خالة "دانيال" لقد أصاب "چيرمي" نفسه إصابة خطيرة!

كان اللون الكاكي لجدران أقرب مستشفى لمدينة "لاك" كافيا لأن يصيب بالمرض أي شخص كان يدخله . وكانت مقاعد صالة الانتظار من البلاستك الأخضر والأرض مغطاة بالمشمع الرمادي الشاحب وكان يئن تحت الأقدام.

لم تستطع "دانيال" أن تظل جالسة . وكادت تموت قلقا وقد لفت ذراعيها على صدرها بشدة وكانها تخشى أن يتفتت جسدها. أخذت تذرع الحجرة ذهابا وإيابا.

بعد أن حاول "ريمي" أن يسري عنها دون جدوى قرر أن يجلس في ركن من الصالة وسيجارة غير مشتعلة بين شفتيه. وكانت فرقة آل "دوسيه" بكامل هيئتها قد تبعت سيارة الإسعاف عدا "جيزيل" وزوجها اللذين انشغلا في وضع الأطفال في الفراش.

أخذت "دانيال" تكرر أن ذلك كله بسبب خطئها. لو أعطت فقط اهتماما لـ"چيرمي" عندما حاول أن يقودها لترى سره الغامض! لو فقط استمعت إليه وهو يحكي عما اكتشفه أثناء رحلتهم مع بابا "دوسيه". لو كانت فقط غير مستغرقة في مشاكلها وفي الرثاء لحالها وعلى الأربعين عاما من عمرها! والآن "چيرمي" قد يتعرض للخطر الذي يمنعه من الاحتفال بعيد ميلاده العاشر.

لقد وجدوه في الغابة الكثيفة فاقدا للوعي وجرح غائر في جبهته وعضة ثعبان في ظهر يده الصغيرة.

لقد هرب هو و"چولي" من حلبة الرقص وهما مصممان على إحضار اكتشافهما إلى الخالة "دانيال" مادامت هي لا تريد أن تذهب معهما لتراه. وحسب أقوال "چولي" أخذا معهما كشاف بطارية من "الميني باص" بحثا عن العش. ولسوء الحظ كانت حية رقطاء قد اختارت غذاءها من البيض الموجود في العش فعضت "چيرمي" في اللحظة التي كان يلمس فيها العش.

أصيب الطفلان بالرعب وهربا وهما يجريان ولكن "چيرمي" كان السم قد بدأ يسري في جسده فتطوح وتعثر في فخ وجرح في رأسه وهو

يسقط. في كل مرة كانت "دانيال" تغلق عينيها . كانت ترى الصورة المرعبة لابن أختها ذلك الطوربيد البشري وتلك الحماقات ، هاهو ممدد وفاقد الوعي ودماؤه فوق التراب بسبب غلطتها. إنها لن تستطيع أبدا أن تنظر إلى "سوزانا" وجها لوجه.

بدا وكأن أفكارها كانت كافية لأن تظهر أختها .

فُتح الباب ودخلت "سوزانا" مندفعة و"تشارلز" في أعقابها. شلت "دانيال" في مكانها ولم يسعفها رد الفعل سوى أن قالت في نفسها: إنهما لم يرحلا إلى الكاريبي.

لم تلوح الشمس والبحر بشرتهما على الإطلاق وكانا يرتديان ملابس المدينة بينما تطوح شعر "تشارلز" خلف رأسه وكأنه نام بملابسه فوق الأريكة وهو يقرأ الصحيفة أما "سوزانا" فلم تضع أي مساحيق تجميل.

اندفعت أختها نحوها وشعرها يتطاير في الهواء وعيناها الرماديتان مليئتان بالقلق .

– كيف حاله يا "دانيال" ؟ هل تعرفين شيئا؟

– "سوزانا" ! "تشارلز" ! كيف وصلتما بهذه السرعة؟

لمع وميض الذنب في عيني "سوزانا" التي تبادلت النظرات مع "بتلر"، ولكن الشرح تأجل لما بعد .

انفتحت أبواب غرفة الطوارئ وطلب الطبيب من والدي "چيرمي" اصطحابه. تبعه الثلاثة تاركين الباقين في الاستقبال. اقتربت "دانيال" من "بتلر" ولديها شعور بأنها تتعرض لمؤامرة :

– ماذا يجري بالضبط يا "بتلر"؟ إن "سوزانا" و"تشارلز" لا يمكن أن يكونا قد عادا من جزيرة بعيدة في الكاريبي. لقد مر بالضبط عشر دقائق على اتصالك بهما بالتليفون.

اصطبغ خدا العجوز الاسكتلندي بنفس لون شعره الأحمر وهو يتململ في عدم ارتياح في مقعده.

– حسنا يا جميلتي. الحقيقة أنهما لم يرحلا بعيدا عن..

– أين كانا بالضبط؟

– أوه .. في خان "جراند بل" بمدينة "لاك" من الأمس وقبل ذلك في

فندق "تونشارتران" كان ينظر إلى قدميه وهو يتكلم. قالت له بهدوء:

- إذن هما لم يرحلا؟

قرر "بتلر" أخيرا أن يرفع عينيه والشفقة التي رآتها في عينيه اقلقت "دانيال".

- لا يا حلوتي. لقد كانت أختك قلقة جدا عليك لقد كنت تختبئين في أعماق أعماق التبت ولم تسمع عنك كلمة من سنة. وكان لابد من إعادتك بين الأحياء. فكرت "سوزانا" أن تجعلك تعتنين بالصغار كي تثبتي لنفسك انك تستطيعين أن تقومي بالرعاية المطلوبة.

قالت وهي تشعر بالمهانة.. الشديدة:

- من أجل أن اثبت لنفسي؟ لقد هزئتما بي كل الاستهزاء. شكرا جزيلا.. انظر ماذا كانت النتيجة..

أشارت بيدها إلى حجرة الطوارئ. قال "بتلر":

- من البداية لم أكف عن تكرار انني ساكون آخر شخص يطلب من "دانيال" رعاية الأطفال وكان عندي حق..

تدخل "ريمي":

- هذه ليست غلطتك.

سالته وهي تنظر إليه نظرة عذاب:

- هل تعتقد ذلك حقا؟

- لقد قلنا له الا يذهب بمفرده إلى الغابة.

- لم يكن ليذهب إليها لو انني انصت إليه وانتبهت له بدلا من الاهتمام بنفسي. لقد اراد ان يؤثر علي ويثير إعجابي ولكني لم اعره أدنى انتباه.

قال والد "ريمي":

- لم يكن سيذهب إلى هناك لولا اننا اصطحبناه إلى هناك يا عزيزتي.

قالت وعيناها ممتلئتان بالدموع:

- انت لا تفهم الأمر.

حاول "ريمي" أن يلف ذراعه حولها ولكنها دفعته . إنها مسؤولة وعليها أن تتحمل وحدها الحزن.

لقد كانت على حق عندما رحلت بعد حادثة لندن. إنها لم تخلق للقيام بدور الأم ولا بدور المربية. في لندن أبعدها عملها عن واجبها وهنا استسلمت لحياتها العاطفية. ثم إن "سوزانا" جذبتها ، بالخداع إلى "نيو اورليانز" ولأول مرة في حياتها شاهدت وجود حياة لا يمكن أن تكون لها مثلها أبدا. إن القدر لا ينقصه المزاح ولا القسوة.

وكل هذه العواطف والأحاسيس والمشاعر لم يبق لها سوى أن تدفنها والجذور الهشة التي غرستها عليها الآن أن تنزعها.

ودفاعا عن نفسها ستبرهن على نبلها. ستترك الأبناء لوالديهم و"بتلر" لمؤامراته و"ريمي" للشابة الصغيرة "ماري" وستعود إلى النشاط الوحيد الذي تلمع فيه. همس "ريمي" الذي كانت صورته الجميلة والضخمة وهيئته الشبابية تنعكس على المرآة خلفه.

- لا تفعلي ذلك في نفسك.

اختنق صدر "دانيال" عند فكرة انها ستفقده لماذا لم يتركوها لحياة التجوال والوحدة؟ لقد كان سهلا للغاية عدم الاهتمام بشيء لم يعرفه. والآن هي تعرف ما الحب وستعاني دائما ذكرى ما فقدته.

حضرت ممرضة لتشرح لهم أن "چيرمي" يجب أن يظل تحت الملاحظة مدة يوم أو اثنين، ولكنه تعدى مرحلة الخطر. ارتفعت الهمهمات وصيحات الارتياح في الجو. وضع "ريمي" يديه على كتفي "دانيال" واخذ يدلك عضلاتها المتصلبة ثم همس:

- أرأيت.. إنه سيخرج منها سالما.

همست "دانيال":

- ولكن ليس بفضلي.

دون كلمة حررت نفسها منه واتجهت نحو باب الخروج للمستشفى. اراد "ريمي" أن يتبعها لكن "بتلر" منعه:

- دعها أيها الشاب وامنحها لحظات لتفكر.

كانت هذه اللحظات كافية لـ"دانيال" أن تجد نفسها وسط ليل "لويزيانا" الحار وأن توقف التاكسي الوحيد المتاح، وأن تطلب من السائق أن يعيدها إلى "نيواورليانز" تاركة وراءها مدينة "لاك" و"ريمي" وقلبها.

الفصل الثالث عشر

فتحت "دانيال" ضلفتي باب الشرفة حيث اندفعت هبة من الهواء الخانق مختلطة بروائح العرق الإنساني وشواء اللحم والمداخن ووصلت إلى حلقها.

ضاقت انفاسها وعطست ثم تراجعت بسرعة إلى داخل حجرتها حيث القت بنفسها منهارة فوق الأريكة .

ربما كانت مخطئة لأنها اختارت "مدغشقر". في البداية هربت إلى "نيويورك" ولكن ضجيج حي "مانهاتن" كان فظيعا وبعد أن كانت تتمتع برائحة الورود وزهور "المانوليا" احست بالتقزز من نتانة اقذار الشوارع المكومة فوق الأرصفة. وفي خطواتها التالية في "باريس" كان مجرد أن تسمع الجميع يتحدثون الفرنسية يقلب كيانها، وكان قلبها يتوقف في كل مرة ترى فيها شابا اسمر له شارب ، بعدها رحلت إلى "سويسرا" ثم "إيطاليا" و"اليونان" واخيرا إلى "بانجوك" حيث جلجلة الأجراس وسط الليل تصم اذنيها. وتختلط بصوت صفارات البواخر وتشبه نفس صفارات البواخر التي تصعد نهر "المسيسبي" لذلك ولم

يفلح اختيارها لـ"بانجوك" وكان اختيارها التالي هو "مدغشقر" لسبب بسيط انها لم تعد تتحمل رحلات الطيران اكثر من ذلك . وعندما استقر رايها اتصلت بوكيلها لتخبره بانها ستقوم بعمل ريبورتاج حول "قردة الليمور" ولكن منذ اسبوع وهي في "تناناريف" لم تستطع أن تتخذ قرارا للوصول إلى مكانها .

لم تعد كاميراتها ماركة "نيكون" تعجبها منذ اخذت بها الصور من شهرين في الاحراش مع "ريمي" . لم يعد لديها طاقة إلا كي تبكي أو تتقيا .

لأول مرة في حياتها لم يعد فنها يقدم لها الراحة والتسلية واحست انها مهجورة تماما ولأول مرة ايضا احست بالحنين للوطن وفكرت في "لويزيانا" بجنون وخاصة شوقها للناس .

بعد رحيلها السريع كانت قد اتصلت بـ"سوزانا" لتعتذر لها ، ومن ناحيتها اعتذرت لها عن انها خدعتها ولكن "دانيال" لم تحمل لها ضغينة لأن اختها غير الشقيقة تصرفت بنية حسنة . وانبت نفسها فقط لانها لم تكن تستحق ثقتها بها ورفضت بحزم أن تعود إلى "نيو اورليانز" كما طلبت منها "سوزانا" - الأفضل للجميع - أن تظل بعيدا .

بدا وكان "ريمي" قلدها هو الآخر حيث اختفى من ناحيته . أما بالنسبة لـ"بتلر" فإن ظهره شفي بمعجزة وظل بجوار "سوزانا" ليساعدها في رعاية الأبناء .

الأطفال ! حتى هؤلاء الوحوش الصغيرة اشتاقت لهم بشدة .

احست بانها محرومة حقا مما تحبه فاحضرت صندوق صورها الذي تصحبه معها إلى كل مكان تذهب إليه لاحتوائه على ذكريات عزيزة عن إقامتها في "نيو اورليانز" .

"اميرواز" وقناعه لوجه "رونالد ريجان" فوق رأسه ونظرته البريئة رغم الكلب مجهول الأصل الذي يجري دائما في اعقابه ، "چيرمي" و"چولي" وعيونهما البراقة وهي تحاول التسلل داخل جبلاية القرود في حديقة الحيوانات و"تانيا" التي هي فتاة صغيرة اكثر منها شابة

وهي ترى صورتها في المرآة كفتاة لعوب . و"كاميل" وخصلة شعرها الوحيدة فوق رأسها مرتفعة لأعلى ونقنها الملوث بعصير الكريز و"ريمي" يبتسم لها و"ريمي" يشير لـ"چيرمي" بأصبعه إلى حداة . و"ريمي" نائم في المقعد الهزاز ، و"كاميل" بين ذراعيه . "ريمي" ...

انزلقت دمعة على خدها وسقطت فوق قميصها . لم تحس أبدا أنها مشتاقة لشخص مثلما تشتاق إليه . ولكن ليكن ما يكون . فهي عجوز بالنسبة له ولكن قلبها لم يشف بعد من منطق الحب الغريب . إنه سيظل أكبر حب في حياتها .

وفي نوبة من الحنق والإحباط ضربت قبضتها سطح المائدة وأسقطت بعض الدموع الإضافية غضبا من نفسها . لماذا كانت غير قادرة أن تتصرف على سجيتها وتستغل في أنانية ما قدمه لها "ريمي" ؟ لا شك أنه الحب الذي منعها أن تفرض عليه صحبة فنانة عجوز يسيطر عليها عملها باضطهاد . عملها فقط دون أي عمل منزلي . لهذه الأسباب مجتمعة وجدت نفسها في "مدغشقر" بمفردها .

نعم إنها وحيدة للغاية ! .. لا ، ليست وحيدة تماما ففي داخلها مخلوق صامت ولكنه يذكرها بوجوده بتلك النوبات من القيء .

دهشت عندما أعلن لها طبيب إيطالي أنها حامل وأن الحمل لن يتأكد إلا بعد مائة يوم .

إنها تحمل طفل "ريمي" . إنها معجزة وواقع . تضاعفت دموعها إنها آخر امرأة في العالم تستحق أطفالا والحقائق المأساوية أثبتت ذلك . ومع ذلك تعويضا لها عن عدم وجود "ريمي" ستحتفظ بجزء منه وستكون .. لأنها قررت أن تكون بنتا - لها عينا "ريمي" وشعره الأسود ولها غمازة في خدها الأيسر . تلك الفتاة الصغيرة ستذكرها دائما بالحب الذي شفى روحها وأضاء حياتها .

ولكن هل من حقها ألا تخبر "ريمي" الذي عبر في مناسبات كثيرة عن رغبته في أن يصبح أبا؟لقد سقطت أخلاق "دانيال" سقطة رهيبة ، أخذت تقرقش بسكويتا مملحا وفجأة تخيلت صورتها وهي منتفخة

البطن على وشك الوضع. لابد أن تخبر "ريمي" بالتأكيد ولكنها تفضل الموت على أن تعهد بابنتها إلى "ماري بروسار" أو أي شابة يختارها "ريمي" زوجة له .

ولكن هل طريقة حياتها تسمح لها بأن يكون لديها طفل ؟ إنها ستغيرها . من وقت طويل على أية حال لم تعد الأماكن غير المألوفة تسرها ، إنها ستستقر ولكن هل مهنتها ستتيح لها وظائف أخرى ؟ ستعمل أقل وستستأجر مربية دائمة مثل كل النساء الغنيات اللاتي يحتجن دائما لمن يساعدهن .. إنها ستكون أما ولكن ستتلقى مساعدة.

خلال بعض الأيام بعد هروبها تخيلت أن "ريمي" سيلاحقها ولكنها كانت مخدوعة . لا شك أنه استعاد عقله هو يشعر بالخلاص لأنه استطاع أن يفلت منها بلا خسائر . وأثناء تسللهما إلى الأحراش والمستنقعات اعترف لها أنه يعمل أساسا مهندسا چيولوچيا ... ربما عثر على العمل المناسب له .

أخذت "دانيال" حقيبتها وخرجت من غرفتها . لم يعد يفيدها أن تظل وسط أفكارها في الفندق ، على أية حال تستطيع أن تفكر أيضا وهي تتنزه ربما يكون "ريمي" خرج من حياتها ولكن العالم مستمر في الدوران . كان هناك سوق مقام عند نهاية الشارع وستذهب لتتنزه فيه وتشتري شيئا لتأكله لأن معدتها بدأت تصرخ وانفتحت شهيتها . ثم ستعود إلى الفندق وتحجز مكانا في أول رحلة طيران إلى الولايات المتحدة الأمريكية . سواء كان قلبها محطما أم لا فإن عليها أن تستمر في الحياة من أجل اثنين .

لم يعر "ريمي" أي انتباه إلى المناظر المحيطة به ، كل مكان يهمه هو المرور الكثيف في "تناناريف" والذي آخر سيارته الأجرة . لقد تبع "دانيال" حتى "مدغشقر" ويخشى أن يفقدها أي ثانية وتضيع منه مرة ثانية إذا لم يلحق بها في الحال .

إنه لا يزال غاضبا لأنه لم يلحق بها في تلك الليلة المشهودة في "لاك" لأنه كان سيوفر على نفسه الحزن والقلق لو أنه طلب يدها للزواج .

وبدلا من أن يفعل ذلك تركها تفلت من بين أصابعه .

ولكن بعد أن يقنع نفسه بأن ذلك للصالح العام : لأنها تعشق الرحلات وهو يكره أن تتحرك بعيدا عنه إلا أنه اكتشف أنه لا يستطيع أن يعيش بدونها حتى ولو اضطر للانتقال إلى القطب الشمالي .

توقفت سيارة الأجرة مرة ثانية وأخرج السائق سيجارة دون عجلة من أمره . سبه "ريمي" في سرّه . أخرج رأسه من النافذة ليحدد من المسؤول عن هذا التعطيل . عندما وقعت عيناه فجأة على شعر أشقر يتخلله بعض الشعيرات البيضاء على بعد خمسين مترا منه كان ذيل الحصان يسير قد صاحبه إلى نهاية الشارع وهو يتارجح يمينا ويسارا . ما إن وقعت عينا "ريمي" على الساقين الطويلتين والكاميرا المعلقة في رقبة صاحبة ذيل الحصان حتى كان فوق الرصيف والقى رزمة من الأوراق المالية للسائق المذهول . صاح :

- انتظري يا "دانيال" !

أبطأت "دانيال" خطواتها وهي تعتقد أنها ضحية هلوسة ولكن الصوت المنخفض المليء بالرجولة أعادها للواقع . حجب الزحام عنهما الرؤية . همست "دانيال" وكأنها تخشى أن تجعله يختفي لو نطقت اسمه بصوت أعلى .

- "ريمي" !

وقف على بعد مترين منها وقد بدا عليه التوه والإرهاق . كانت عيناه بلون الدم وذقنه الأزرق يغطي خديه اللذين دخلا أكثر مما تتذكر داخل وجهه . كان يرتدي چينزا وحذاء رياضيا وقميصا ورديا مكرمشا تماما بعد أن قضى ليلة في الطائرة . ومع ذلك بدا لها في منتهى الروعة بدرجة لم تره بها من قبل . قال بعد أن وضع حقيبة السفر على الأرض :

- لست أدري إن كنت أقبلك أم أركلك من أجل الحزن والأسى الذي سببته لي يا حبيبتي .

حلت "دانيال" المشكلة بأن ركعت على ركبتيها وقلبها يكاد أن يقفز

من بين شفتيها . سارع "ريمي" وساعدها على الوقوف :

- "دانيال" يا حبيبتي ! هل كل شيء على ما يرام ؟

تلعثمت :

- ماذا تفعل هنا ؟

- لقد أمسكت بك وهو شيء مرغوب .

- أعني كيف عرفت أنني هنا ؟

- لقد عثر "بتلر" على مكانك بفضل وكيلك . يا إلهي ! كم أنت تتنقلين بسرعة شديدة يا حبيبتي !

يلزمني وقت حتى أتعود على سرعة وتيرتك .

- ماذا تريد أن تقول ؟

همس :

- أقول : إنني أحبك . ولقد تضايقت لدرجة الجحيم وأنا مزروع في الفندق . ثم استلزم الأمر مني وقتا حتى اتعود على فكرة ترك "لويزيانا" وأسرتي . ولكن كلما فكرت في ذلك زاد يقيني أنك أنت أسرتي .

سكت لحظة ليستجمع كل شجاعته .

- أريد أن أتزوجك يا "دانيال" . أريد أن أهبك كل حياتي .

رغم الدوار الذي أحسته "دانيال" في رأسها استطاعت أن تحتفظ بتوازنها . يا له من حلم جميل ! أن تتزوج "ريمي" وتعيش سعيدة معه بقية أيام حياتها .. ولكنه ليس حلما . قالت في حزن :

- لا يا "ريمي" لا أسمح لك بأن تفعل هذا .

كرر في لهجة عدم تصديق :

- تسمحين لي .. لقد تبعتك حول العالم كله واستدنت نقودا كي أحجز رحلة إلى القمر وتقولين لي : إنك لا تستطيعين أن تسمحي لي بالزواج بك ؟

هزت "دانيال" رأسها نفيا :

- أنت لا تستطيع الزواج بي يا "ريمي" .. انا عجوز وملعونة

ويمكنك أن تعثر على من هي أفضل مني كثيرا . تزوج "ماري بروسار" وأنا واثقة بانها فتاة لطيفة .

قال وهو يقترب منها أكثر :

- إنني لا أريد فتاة وإنما امرأة .. إنني لا أعير تلك اللعنة الخرافية أي انتباه . إنه أنت التي أريدها يا ملاكي وأنا مستعد للذهاب إلى آخر العالم كي أحصل عليك .. ما رأيك في هذا ؟

رفعت "دانيال" عينيها وشحب وجهها وقالت :

- اعتقد انني سأتقيأ .

أخذت قدما "دانيال" تطرقان مربعات أرضية الحمام . بدأت تحس بأفكارها انها أكثر وضوحا بعد أن غسلت أسنانها بالفرشاة ونشطت وجنتيها .

قالت :

- في الحقيقة لا يريد أحد أن يعيش معي يا "ريمي" انا أنانية رهيبة غير قادرة على التخلص من عاداتي ثم إن جسمي بدأ يترهل . هل ستتحمل ذلك ؟

ابتسم لها "ريمي" وظهرت غمازته ونهض من فوق السرير الذي كان شبه مستلق عليه :

- لانني أحبك ولأنك تحبينني ولكني لا أرى أي ترهل في جسدك إنه الوهم . اشرحي لي ذلك ؟

- لست أدري .. لست أفهم : لماذا لا تزال تريدني بعد كل ما حدث ؟!

- لست مسؤولة يا "دانيال" لا على ما حدث لـ"چيرمي" ولا لطفل صديقتك . لو كنت ذهبت مع "چيرمي" لكان من المحتمل أن تصابي أنت بدلا منه وفي هذه الحالة ستكونين أنت المسؤولة .. أليس كذلك ؟

- نعم .. ولكن ...

- أنت لا علاج لك .. كل الناس يرتكبون أخطاء .

همست بصوت مليء بالدموع :

- لن أستطيع أن أصبح واحدة منكم . هذا كل ما في الأمر .

إنها تحبه وترغب ألا تنفصل عنه ، ولكن الرغبة شيء ومصلحته شيء آخر . أحس "ريمي" ايضا أن عينيه مبتلتان . إن الخوف من أن يكتشف أنها لا تريده وأنها ليست في حاجة إليه لم يغادره أبدا ولكن أثناء أخذها حماما للإنعاش وجد صورا تعد دليلا دامغا على عكس ما تدعيه . لقد كانت "دانيال" تستتر خلف فنها وتعبر عن وحدتها عن طريق باب مغلق ، وتعبر عن عاطفتها الجياشة عن طريق صورة طفل .

قال بإلحاح :

- لن أكون سعيدا إلا معك . لماذا لا تفهمين ذلك يا ملاكي ؟ لقد اشتقت إليك لدرجة اعتقدت انني سأموت . لا يهمني إن كنت أعيش في "مانهاتن" أو في أعماق الأحراش والبراري . إن بيتنا هناك حيث يوجد قلبانا وبالقرب منك .

سالت دمعتان كبيرتان على خدي "دانيال" بينما أخذ فمها يرتجف .

- أوه يا "ريمي" . إنني مستعدة لأن أعيش أينما تكون لو تأكدت أن الأمر سينجح ولكن لابد أن أفكر في وضعي .

- قولي لوضعك أن يذهب إلى غير رجعة لأنني لا أهتم به .

- ولكنك صغير جدا .

قاطعها "ريمي" بإشارة من يده :

- سنقوم بتسوية هذه المشكلة . هل لديك قلم حبر ؟

تحيرت "دانيال" ونظرت إليه وهو يأخذ واحدا من فوق المائدة ثم يخرج ورقة مطوية من جيبه وزجاجة مزيل للخط . سألته :

- ما هذا ؟

- إنها شهادة ميلادك ويمكنك أن تشكري "بتلر" .

- شهادة ....؟ ولكنك لا تستطيع أن تفعل ذلك !

كان الوقت قد فات حيث وضع "ريمي" طبقة بيضاء فوق سنة الميلاد وهو يقول :

- استرخي يا عزيزتي ودعيني أنتهي .

انفجرت "دانيال" ضاحكة في سعادة بطريقة هستيرية بينما عدل

التاريخ إلى ما قبل سنة ميلادها الحقيقية ببضع سنوات :

- هذا هو الوضع الآن يا عزيزتي .. إننا نقترب من سن واحدة.

أخذت "دانيال" الشهادة من بين يديه :

- هذا أمر لا يصدق .. إنني أحس بانني صغيرة في السن .

أمسك بها "ريمي" ورقص معها رقصة مجنونة على موسيقى أصدرها من فمه . وقال لها :

- هل لديك رغبة في الزواج ؟

نظرت إليه "دانيال" نظرة مشدوهة وعاشقة : لماذا يلح ؟ إنه شديد التصميم وجذاب وماكر وأكثر عقلا من سنه . إنها ستكون سانجة لو تخلت عن كل ذلك .

قالت وهي تتبع خطواته في الرقص :

- نعم !

- اتدرين . انني في حاجة إلى أخذ حمام طويل .

- هل تريد مساعدة يا حبيبي ؟

- نعم .

كان بريق السعادة يلمع في عيونهما .

تمت